



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ **الَمْ**

هذه الحروف: الله أعلم بمراده بها ولا شك أنها نزلت لمعانٍ عظيمة، ومقاصد كريمة.

﴿٢﴾ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**

الله المستحق الألوهية الذي لا يجوز أن تصرف العبادة إلا له، فهو واحد أحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهو الحي الباقي الدائم بعد فناء خلقه حياةً كاملةً لا تشبه حياة المخلوق، وهو القائم على تصريف الخلق وتدبير الكون.

﴿٣﴾ **نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مَصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ**

نزل عليك القرآن - يا محمد - بالحق القاطع والدليل الساطع والبراهين الباهرة، والحجج المتظاهرة، يصدق ما سبق من كتب نزلت على الرسل قبلك، وهو سبحانه الذي أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى لبيّن الحق لبني إسرائيل.

﴿٤﴾ **مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْقُرْآنَ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**

وأنزل - سبحانه - الكتب التي فيها فرقان بين الحق والباطل والهدى والضلال، والذين يجحدون هذه الآيات البينات ويكفرون بربهم ويحاربون رسله جزاؤهم العذاب الشديد الدائم في نار جهنم؛ لأن الله يمحق من عاداه، ويكبت من عصاه؛ لعزته المتناهية ينتقم ممن خالف أمره فيوقع به أشد النكال وأفظع العقاب، لا يقدر على مثله منتقم.

﴿٥﴾ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**

والله - سبحانه - مطلع على المغيبات، عالم بالخفيات، مما يقع في الأرض قلّ أو كثر في السر والعلن من تصرفات الناس وغيرهم، ومحيط علمه بما يقع في السماء من الملائكة وغيرهم؛ لأن الكل في ملكه وتحت سلطانه.

﴿٦﴾ **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**

ومن آثار علمه وحكمته وقدرته تركيب صوركم في أرحام أمهاتكم باختلاف اللون والجنس والشكل كما يريد سبحانه، فما دام أن هذا خلقه وتدبيره وقدرته فلا معبود بحق غيره ولا إله إلا هو، فهو العزيز الذي قهر سواه، لا يغالبه مغالب ولا يقهره محارب، حكيم يدبر بلطف ويقضي بحكمة.

﴿٧﴾ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**

أَتَّبِعَاءَ أَلْفَسِدَةٍ وَأَتَّبِعَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

وهو سبحانه وحده الذي أنزل عليك القرآن - يا محمد - وفيه آيات واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض، ظاهرة للفهم، معلومة للقارئ، كالأحكام الشرعية والأخلاق والآداب، وهي أصل هذا القرآن وأكثره، وفي القرآن آيات

أخرى ليست واضحة بل تحتاج إلى تفسير وتأمل وتوقف أحياناً كالحروف المقطعة في أول السور، فالذين في قلوبهم ريبة وهوى يبحثون في غير الواضح من القرآن ليتعلقوا بشبهه، ويؤيدوا باطلهم؛ ليزرعوا الشك في القلوب، ويحدثوا الخلاف بين الناس، وليفسروه بما يوافق باطلهم، ويزعموا أنه يؤيد ما ذهبوا إليه، كالتصاري الذين استدلوا بقوله تعالى - عن عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ قالوا: خرج منه، فهو ابنه - تعالى الله عن ذلك - وتركوا المحكم الصريح في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ وكذلك كل صاحب بدعة يأخذ من الدليل المحتمل ما يوافق هواه ويؤيد باطله، والذي يعلم معنى المتشابه حقيقة هو الله وحده؛ لأنه اختص بعلمه كعلم الروح وغيرها، وأهل العلم المتمكنون الغائضون في الحقائق يردون العلم إلى ربهم، ويعترفون بعجزهم أمام هذا المتشابه، ولكنهم يؤمنون به ويعلمون أن له معنى وحقيقة، ويرون أن الجميع من المحكم والمتشابه كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهم يعملون بالمحكم ويؤمنون بالمتشابه، والذي يقبل النصح وتتفع فيه الموعظة هو صاحب العقل الفطن والقلب السليم، فهو لفهم عقله يدرك، ولطهارة قلبه يؤمن، فينفعه المعنى ويدرك المقصود ويصل إلى الحق.

﴿٨﴾ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿﴾

وعباد الله المؤمنون يسألون ربهم ويقولون: إلهنا وخالقنا ورازقنا لا تصرف قلوبنا عن الحق الذي أرسلت به رسلك بعد أن عرفتنا به وأرشدتنا إليه، وذقنا حلاوته، وعرفنا صحته، وتفضل علينا بلزوم الحق والثبات على الصدق، فمن هديته وعن الباطل صرفته فقد رحمته؛ لأن فضلك لا يحد، وكرمك لا يعد، وعطاؤك لا يرد، تهب لمن لم يطلب ولمن طلب.

﴿٩﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿﴾

ويدعون فيقولون: إلهنا وخالقنا ورازقنا أنت سوف تجمع الخليقة ليوم العرض عليك، والقدوم إليك، وهذا اليوم حاصل لا محالة، وواقع لا شك فيه، فأنت لا تخلف ما وعدت وقد وعدت به، فوعدك آت ولقاؤك حاصل، وقولك نافذ.

﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿﴾

المكذبون لرسول الله، المشركون بالله، المحاربون له لن تنفعهم هذه الأموال التي يجمعونها ولا هؤلاء الأبناء الذين يربونهم، فلن تمنعهم من عذاب الله، ولن تدفع عنهم غضب الله، وأولئك هم حطب جهنم؛ لفضاعة ما ارتكبوه وشناعة ما فعلوه، فيالسوء المنقلب، وفضاعة المصير.

﴿١١﴾ كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿﴾

مثل هؤلاء الذين كذبوك كمثل قوم فرعون ومن سبقهم من الأمم الكافرة، كلهم اجتمعوا على جحد ما أنزلناه ومحاربة من أرسلناه، مع أن آياتنا بينات، وحججنا واضحات، لكنهم كذبوا بالصدق، وردوا الحق، فإلهه - جل في علاه - لما فعلوا ذلك أخذهم أخذ عزيز مقتدر فنكّل بهم، ونوع أساليب تدميرهم وعذابهم من إغراق وريح وصاعقة وخسف ومسح وغير ذلك من أشكال العقوبات وأصناف المثالات؛ لأن أخذه قوي وعذابه أليم.

﴿١٢﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَابُونَ وَتَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿﴾

أخبر - يا محمد - كفار مكة بأنهم سوف يهزمون في الدنيا ويعذبون في الآخرة؛ لأنهم كفروا بالله وكذبوا رسوله، فالخزي والعار عليهم في هذه الدار، والعذاب والنكال ينتظرهم في النار وبئس القرار، ففراشهم الجحيم، ولباسهم القطران والحميم.

﴿١٣﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَمِمَّا تَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿﴾

أما أخذتم يا معشر الكافرين العبرة مما حصل في بدر، يوم اجتمع أهل الإيمان وعبدة الأوثان، فالمؤمنون ينصرون الرحمن، والمشركون يقاتلون مع الشيطان، والكفار يشاهدون المؤمنين بأبصارهم أكثر منهم مرتين، وليس في المنام ولا

في الأحلام، فالله وحده أعز عبده، ونصر جنده، وهزم المشركين وحده، فانتصر المؤمنون، وشفى الله غيظهم من عدوهم، ووقع القتل والأسر والهزيمة بأعداء الله من كفار قريش، وهذه المعركة فيها أبلغ العظات، وأعظم الحجج البيّنات على نصر الله أوليائه وإن قَلَّوا، وسَحَقَ ومَحَقَ أعدائه وإن كثروا، لكن لا يعتبر إلا مستتير القلب سليم الإدراك.

﴿ ١٤ ﴾ **زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٥﴾**

جُمِلَت الدنيا في عيون الخلق بلذاتها وفتنها وشهواتها ابتلاءً وامتحاناً من الله للناس فأحبوها وعشقوها، كفتنة النساء، وهي أعظم فتنة؛ لكثرة الإغراء والإغواء، وحب البنين؛ لأنهم فلذات الأكباد وباقات الفرح والإسعاد، وخزائن المال المحفوظة المفضلة؛ لارتفاع أمانها وغلاء قيمتها من ذهب وفضة ونحوها، وحب إليهم الخيول المعلمة بأحسن الألوان وأبهج الأشكال، وهي الغالية الثمينة الفريدة، وكذلك أحبوا الإبل والبقر والغنم؛ لأن فيها المنظر البهي والمطعم الشهي والمركب الوطي، وأحبوا الحبوب والثمار والنبات والأشجار؛ لاختلاف طعومها وتعدد أذواقها وجمال منظرها وكثرة فوائدها، وهذه كلها متاع زائل وزينة زاهية؛ لأن الدنيا يفنى نعيمها ويسافر مقيمها، لا بقاء لها ولا قرار، ولا وفاء لها ولا حسن جوار وما هي إلا شَرَكُ الردى وقرارة الأكدار، أيام معدودة، وآجال محدودة، وأرزاق مقسومة، لكن النعيم المقيم والفوز العظيم عند الملك الكريم، في دار من دخلها آمن، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ولا عدم ولا سقم ولا هرم، فلا تتخذوا بفتنة الدنيا عن ذاك المصير، ولا تغتروا بهذه الشهوات عن الفوز الكبير، فخاب - والله - من قدّم الفاني على الباقي، والخسيس الرخيص الذاهب على الثمين الغالي الدائم.

﴿ ١٥ ﴾ **قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٦﴾**

قل لهم يا محمد: ألا أخبركم بأحسن وأجمل وأفضل من هذه الشهوات واللذائذ الزائلات، أفضل منها - والله - حدائق غناء، وبساتين فيحاء، وأنهار جارية، ونعيم مقيم، وحبور وسرور، وقصور ودور، ونساء طاهرات، من كل دنس ونجس، فيهن حسن وجمال، وعفاف وكمال، مع حلول الرضا والغفران عما مضى، في أمن وسلام، وحسن مقام كل هذا لمن اتقى مولاه، وخشي ربه، فهذا أحسن من دار الفناء ومنزل الشقاء، ودنيا الهم والنكد، والمصائب والكبد، ولكن لا يفوز بنعيم الجنة إلا من صدق مع ربه ظاهراً وباطناً؛ لأن الله بصير بعباده يعلم ما يسرون وما يعلنون، فيجازي كلاً بما صنع، ويحاسب كلاً بما فعل.

﴿ ١٦ ﴾ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧﴾**

ومن صفات هؤلاء الفائزين أنهم يدعون ربهم فيقولون: يا ربنا آمنا بك وصدقنا بكتابك واتبعنا رسولك؛ فتجاوز عن زلاتنا، واعف عن خطيئاتنا، ونسألك النجاة من النار دار البوار ومقر الأشرار، فهم أقروا بما لله عليهم، ثم سألوهم غفران الذنوب، ثم دعوه أن يصرف عنهم العذاب.

﴿ ١٧ ﴾ **الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٨﴾**

وهم صابرون على الطاعة في الشدة والرخاء، صابرون على البأساء والضراء والبلاء ومجاهدة الأعداء، صادقون في النية والأقوال وسائر الأعمال والأحوال، مطيعون دائمون على امتثال الأمر واجتناب النهي، وهم يستغفرون الغفار من الأوزار في الأسحار وقت نوم الناس وراحتهم، وزمن صفاء النفس وإشراقها، وموعد تنزل الكريم المنان إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل.

﴿الرُّتْرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

ألا تعجب من اليهود الذين تعلموا كثيراً من التوراة وعرفوا ما فيها من أحكام، يُقال لهم: تعالوا عند المنازعة إلى التوراة لتأخذوا حكم الله منها، وبعد سماع الحكم تأبى طائفة منهم هذا الحكم الإلهي وتطلب غيره صدوداً وعصياناً وتمرداً وطفياًناً.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَعَرَّهَمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

وسبب إعراضهم عن شرع الله أنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه؛ والحبيب لا يعذب حبيبه، فلا يُعذَّب إلا مدة يسيرة بمقدار ما عبدوا العجل وهذا الزعم منهم كذب ودجل، بل ليس له أصل، فكل من كفر بالله خُذَّه في نار جهنم كائناً من كان، لكنهم يقولون: إن الله وعد يعقوب ألا يعذب أبناءه، وهذا كذب وافتراء، وزور وهراء.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُم لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

فماذا يفعلون إذا أحضرتناهم للحساب وأتينا بهم للعقاب؛ في يوم واقع لا محالة، لتحاسب كل نفس على ما قدمت من خير أو شر بلا ظلم ولا جور.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

فيامن بيده الملك ومقاليد الأمور والمتصرف في الخلق والمدير للكون وله من في السموات والأرض، أنت وحدك تعطي الملك من تريد من عبادك، وتخلع من تريد منهم من ملكه، وتمنع العزة من تريد، وتدخل الذلة على من تريد؛ لأنك وحدك القادر على النفع والضرر، فلا يعجزك شيء ولا يتعاظمك أمر، ولا يستعصي عليك مطلب؛ لأن قدرتك نافذة، وحكمك ماضٍ، وسلطانك قاهر، تقدست عن الأنداد، وتزهت عن الأضداد.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

وأنت وحدك -يا حكيم- من يدخل الليل في النهار بعد انقضائه فيذهب ضياؤه، ويدخل النهار في الليل بعد انتهائه فتذهب ظلمته فتزبد من هذا في هذا بمشيئتك، يُعْشِي الليل النهار حثيثاً، فإذا الظلام يمضي رويداً رويداً حتى يطبق العالم بجلبابه، ويُعْشِي النهار الليل، فإذا النور يتضاءل شيئاً فشيئاً حتى يبهر العالم بنوره في نظام عجيب وحكمة باهرة، وقدرة نافذة، وتبت الزرعة الخضراء من الحبة اليابسة، والنخلة الباسقة من النواة الجامدة، والبيضة الميتة من الدجاجة الحية، فأى قدرة أعظم، وأي صنيع أعجب وأي فعل أحكم من هذا !! تاهت الأفكار في عظمة العزيز الغفار، بل كل آية في الكون سطر في كتاب العظمة، وحرف في سفر الوجود شهدت بألوهية وربوبية الملك الحق المعبود، وهو - سبحانه - وحده يعطي من شاء من عباده ما شاء من عطائه هبةً منه بلا حد، وسخاء بلا عد، وكرماً بلا رد.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَكَفُّوا مِنْهُمْ تَقَنُّةً وَيُحَذِّرَكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

لا توالوا -أيها المؤمنون- الكافرين من دون الله وتتخذوهم أحبباً وإخواناً وأصحاباً وأعواناً من دون المؤمنين، فإن فعلتم ذلك من الولاء لأعداء الله والتتكر لأولياء الله، فلستم عباد الله حقاً، ولا أولياءه صدقاً، ودعواكم الإيمان كذب ونسبتكم إليه زور.

لكن إذا تيقنتم من الضرر الداخل عليكم منهم فأظهروا لهم القول اللين والخطاب الجميل مع بقاء الولاء لله والمحبة في القلب، فهي مصانعة بالظاهر، ومجاملة باللسان فحسب، فمن تيقن من الكفار المكاره جاز له إظهار ما أحبوه.

وَحَافُوا غَضَبَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْذَرَكُمْ ذَلِكَ، وَنَهَاكُمْ عَنْ كُلِّ مَا يُوْجِبُ عَذَابَهُ وَعِقَابَهُ، وَسَوْفَ تَعُودُونَ إِلَيْهِ لَا مَحَالَةَ لِيُوفِي كَلَّاءَ بَصْنِيعِهِ، مِنْ أَحْسَنِ فَلِهِ الْإِحْسَانَ، وَمِنْ أَسْأَفِ فَلِهِ الْعَذَابَ فِي النَّيْرَانِ.

﴿قُلْ إِنْ تَحْفَؤْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

وأخبر أمتك من أسرّ في نيته شيئاً، أو أظهر من عمله شيئاً فالله مطلع على الجميع عالم بالكل، لا تغيب عنه غائبة ولا تخفى عليه خافية، فإذا كان هذا علمه بكم وقدرته عليكم فلماذا لا يوقر ويقدر، فهو أولى من عظم، وأحق من أُنقِي، وأولى من قُدس، فهو مع ملكه لما في السموات والأرض أحاط بما فيها علماً، وأحصى ما بها من عدد، وتكفل بما فيها، فهو الذي خلق الزمان والمكان والإنسان، وهو على فعل ما شاء قادر لا يعجزه فعل أن يفعله، ولا يغلبه مغالب أن يقهره، ولا يفوته مطلوب أن يدركه، جل عن الأشباه لا إله إلا الله.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

ويوم القيامة يوفى كل عامل بعمله فلاهل الخير ثواب وزلفى، ولأهل الشر عقاب ونار تظلى، فما فعلت وجدته أمامك، فالفعل الجميل ثوابه جزيل من رب جليل، والفعل القبيح جزاؤه الخسار والنار، حينها يتمنى من أساء أن بينه وبين عمله أرض وسماء، ويودّ لو أنه عنه بعيد، وأن بينه وبينه بيداً دونها بيد، لكن هيهات، وقع -الله- في الضنك بلا شك، فليس له خلاص، وما من عمله مناص، والله إنما أخبركم بهذه الأخبار من باب الإعذار والإنذار؛ ليكف النفس عن الردى، ويلزم الصالح طريق الهدى، ومن رأفته بالعباد إنذاره لهم يوم المعاد؛ لأنه تلتطف بخلقه وأخبرهم بما يسرهم، وأحسن في صرفه عنهم ما يضرهم، فمن رأفته الإمهال بلا استعجال، وقبول التوبة، وتقديم التحذير وإقامة الدليل لقطع الاحتجاج.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

يا من ادعى حب الله عليه بالدليل وهو اتباع الرسول والاقتراء به، فمن اهتدى بمحمد ﷺ فقد أحبه، ومن أحبه أحب الله، ومن أحب الله استوجب رضاه، فمجرد الدعوى بلا برهان ادعاء، وقول بلا عمل يصدقه افتراء، ومن تبع هذا النبي الأمي أحبه مولاه، واجتباها وسامحه عن خطاياها وتجاوز عن سيئاته؛ لأنه واسع المغفرة، يمحو كثير السيئات بقليل الطاعات، عظيم الرحمة فاقت رحمته بالعباد رحمة الأم بالأولاد، فالواجب على العبد أن يقابل هذه الأفضال بالامتثال، وهذا العطاء بالاهتداء والاقتراء، يهتدي بالكتاب المنزل، ويقبدي بالنبي المرسل.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

قل - يا محمد - للناس إن كنتم تريدون السعادة والفلاح، والفوز والنجاح فأطيعوا الله ورسوله بامتثال ما في الكتاب والسنة والعمل بما فيهما من أوامر واجتناب نواهيها، فإن كذبتم وأعرضتم فأنتم في عداد من كفر، والله يبغض الكفار ولا يحب الفجار؛ لأنهم أعداؤه وأعداء رسوله.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

اختص الله بالنبوة واختار للرسالة آدم أبا البشر، ونوحاً أول الرسل، وإبراهيم أبا الأنبياء، وآل عمران بيت الطاعة والصلاح، فميزهم على كل الناس بالاصطفاء، وخصهم بالاجتباء، فقاموا بحقوق الولاية، وأدوا شكر الهداية.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وهم سلالة واحدة بعضهم من نسل بعض، يرث التالي الأول في الخير والصلاح، تشابهوا في الفضائل، وتجانسوا في المكارم، أسرة برّ، وأهل تقوى، والله أعلم بمن يصطفى؛ لأنه يسمع الأصوات والحركات، ويعلم الخفيات والنيات، فاخياره عن علم، واجتباؤه عن حكمة.

﴿ ٣٥ ﴾ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾**

واذكر - يا محمد - للناس القصة العجيبة لما دعت امرأة عمران الولي الصديق فقالت: إني نذرت أن ما أحمل في بطني إذا ولدته يكون خالصاً لخدمة بيت المقدس، فأسألك أن تتقبل مني ما نذرت؛ ولأنك تعلم أنني جعلته لوجهك لا رياء ولا سمعة، ويكفي علمك لأنك مطلع على الضمير، عالم بالسريرة، تسمع كل مسموع، وتعلم كل معلوم، من أخلص في قصده علمته، ومن أراد غيرك جازيته.

﴿ ٣٦ ﴾ **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ لَأَكْثَرُ وَأِنِّي أَسَمَيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾**

فلما ولدت ما في بطنها إذا بالمولود أنثى فكأنها تأسفت فاعتذرت، لأن من عادتهم أن الذكور للندور، والبنات لخدمة البيوتات، والله عالم لا يعلم أنها أنثى، فهو يعلم السر وأخفى، ثم قالت متحسرة: وليس الرجل كالمرأة في القوة والقدرة على العمل والتحمل؛ لأن الأنثى ضعيفة تصلح للأمومة، والرجل يصلح للكد والعمل. ثم أخبرت أنها سميتها مريم أي الطائفة العابدة في لغتهم تيمناً وتفאוلاً، وأسألك يا رب أن تحفظها وذريتها من نزغات الشيطان وفتنته، فإن من تعصمه في أمان، ومن تحفظه وفق للبر والإيمان.

﴿ ٣٧ ﴾ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَزَقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾**

فقبل الله هذا النذر وهي مريم من أمها قبولاً مباركاً، فحفظها وتولاها، وهداها وأكرم مثاها، وأصلح شأنها واجتباها، وجعل الوصي على تربيته النبي الكريم زكريا، فتعاهد أمرها بما يصلحها، ورعاها أحسن الرعاية، وتولاها أجمل ولاية، فنشأت عابدة قانتة، لها معبد تعتكف فيه للذكر والعبادة، فكان الله يهيئ لها طعاماً يكفيها وقت حاجتها إلى الطعام، دون كسب ولا تعب منها؛ كرامة من الله لها، فتعجب زكريا من وجود هذا الطعام وسألها من أين ومن جاء به؟ فأجابت: هو رزق من عند الله الكريم المنان، وهو - سبحانه - يعطي من يشاء بلا حدود؛ لأنه واسع الفضل عظيم الجود.

﴿ ٣٨ ﴾ **هَٰذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾**

فلما رأى زكريا هذه الكرامة وشاهد هذه العلامة، تضرع إلى ربه ومولاه وسأله ودعاه أن يهب له ولداً صالحاً من زوجته العقيم على شيخوخة منه؛ لأنه لما أبصر ما أكرم الله به مريم من إحضار الطعام بلا كد ولا اجتهاد، طمع في الأولاد من غير السبب المعتاد؛ لأن الواحد الأحد لا مستحيل يمنع قدرته ولا صعب على إرادته.

﴿ ٣٩ ﴾ **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾**

فأجاب الله دعوته فنادته ملائكة الرحمن وهو في مسجده يصلي، فبشرته بمولود كريم، وصبي حليم، يصدق نبوة عيسى الذي خلق من الله بكلمة كن من دون أب.

وهذا المولود المبارك سوف يسود الناس في زمانه بالعلم والحكمة والنبوة، وهو ورع تقي عفيف، يصون نفسه عن الشهوات، ولا يقرب النساء لتفرغه للعبادة، واشتغاله بالسيادة، وانهماكه في الخيرات، وفعل الصالحات، وهو نبي يوحى إليه، معصوم من الخطايا، عامل بمقتضى الحكمة.

﴿ ٤٠ ﴾ **قَالَ رَبِّ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٤٠﴾ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكِ أَلَّهِ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾**

يا رب كيف يولد لي مولود وقد كبرت سني ورق عظمي ودهمتني الشيخوخة، وزوجتي أصابها العقم لا تتجب، فأخبره ربه أنه يفعل ما أراد، لا يستعصي عليه أمر، ولا يستحيل عليه شيء، ولا يعجزه فعل؛ لتمام القدرة ونفوذ الحكمة، يُخْرِجُ الْمَاءَ مِنَ الْحَجَرِ.

﴿ ٤١ ﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿ ٤١ ﴾

قال زكريا: رب اجعل لي علامة أعرف بها أن زوجتي حملت بغلام، فأخبره ربه أن علامة ذلك عجز زكريا عن الكلام ثلاثة أيام من غير خرس ولا مرض، لكن لا تستطيع التعبير عما في نفسك إلا بالإشارة، وهذا لا يمنعك من ذكر ربك؛ فاذكره أول اليوم بعد طلوع الشمس وآخره قبل الغروب؛ إظهاراً للشكر واعتراضاً بالنعمة، واستمراراً على العبودية.

﴿ ٤٢ ﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيُمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿ ٤٢ ﴾

واذكر حين قالت الملائكة لمريم: لقد اصطفاك ربك ومولاك من بين النساء جميعهن، فحباك بالكرامة ولزوم الاستقامة، وطهرتك من كل فعل دنس وعمل نجس، ونزهك عما رماك به اليهود من فرية عظيمة وكذبة وخيمة، فسان الله عرضك - جل في علاه - فكنت بحق أهلاً للاصطفاء ومحلاً للاجتماع.

﴿ ٤٣ ﴾ يَمْزِيهِمْ أَفْتَى لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿ ٤٣ ﴾

فداومي يا مريم على عبودية مولاك وعلى ذكره وشكره، فبالعبادة تُنال السيادة، وتطلب الزيادة، وتحصل السعادة، وحافظي على الصلاة مع المصلين، فهي قرة العين، وبهجة الروح، وعماد الدين، فبالعبادة تنالين أشرف المقامات، وأجزل الهبات، وأعظم الدرجات.

﴿ ٤٤ ﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفَلَمْهُمْ آيَاتُهُمْ يَكْفُلْ مَرِيْمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿ ٤٤ ﴾

هذه الأخبار الغيبية - يا محمد - لولا أن الله قصها عليك ما كان لك بها علم؛ لأنه لا طريق للاطلاع عليها إلا بالوحي من الله، مثل قصة امرأة عمران وابنتها مريم الطاهرة المطهرة، وزكريا وابنه يحيى، فأنت - يا محمد - لم تحضر يوم استهموا أيهم يقوم بكفالة مريم، وحين اختلفوا في شأنها، وهذا دليل على أنك رسول من عند الله وعلى صدق نبوتك، فلولا الوحي من القهار ما علمت هذه الأخبار.

﴿ ٤٥ ﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيُمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿ ٤٥ ﴾

واذكر إذ جاءت الملائكة تبشر مريم بولد لها وهي بلا زوج؛ لتكون وابنها آية على قدرة اللطيف الخبير؛ لأن الأصل أن الولد من أب إلا آدم وعيسى، آدم من تراب وعيسى بكلمة «كن» من الله، فאלله بشرک بعيسى وسماه ولقبه واختاره واجتباها ورفعها إليه وحماء، وجعله إماماً في الدنيا ووجيهاً وشريفاً مكرماً، وفي الآخرة مقرباً عند الله في مقعد صدق، في مقام جليل وفي إكرام وتبجيل.

﴿ ٤٦ ﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ ٤٦ ﴾

ومن المعجزات في خلق عيسى أنه يتكلم وهو طفل لم يمش، ولم يحب ما زال في سرير الولادة مثل كلامه وهو في حال اكتماله، فليس كلامه كلام أطفال بل كلام رجال وهو من الصالحين المحفوفين بالعبادة، المحفوظين بالعصمة.

﴿ ٤٧ ﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ ذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ ٤٧ ﴾

فتعجبت مريم كيف يكون لها ولد ولا زوج لها ولم يقربها رجل، قال لها الملك: الله قدير على كل شيء لا يعجزه شيء، غلب أمره ونفذت مشيئته، وعمت قدرته، وإذا أراد - سبحانه - إيجاد شيء فإنما يقول له: "كن فيكون".

﴿ ٤٨ ﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿ ٤٨ ﴾

والله يعلم عيسى الكتابة بلا معلم، ويمنحه العلم النافع والفقه في الدين، ويحسن علم التوراة كتاب موسى، وكتابه وهو الإنجيل، وفيه أن الكتابة باليد منقبة، والفقه في الدين شرف، واتباع الوحي فوز ونجاة.

﴿٥٤﴾ **وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخَلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزْرِئُهُمُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ** ﴿٥٤﴾

ويكرم الله عيسى بالرسالة فيبعثه إلى بني إسرائيل، ويخبرهم أن معه دليلاً قاطعاً، وبرهاناً ساطعاً على صحة نبوته وثبوت رسالته، منها أنه يشفي من وُلد أعمى فيرده بصيراً بإذن الله، ويداوي الأبرص فيعود له جلد جميل بإذن الله، ويرد الروح على الميت فيعود حياً بإذن الله، ويخبرهم بأمور الغيب كأنواع الطعام في بيت كل واحد منهم، وما خزّنه من مال وأخفاه من متاع وهو لم يشاهده، لكن أطلعه الله عليها، وهذه آيات عظيمة وحجج قاطعة على صدق رسالته، إن كانوا يريدون تصديقه واتباعه فقد ظهر الصبح لذي عينين، وقامت الآيات للسائلين.

﴿٥٥﴾ **وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلِلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا** ﴿٥٥﴾

وأنتيتكم بعد موسى مصدقاً لرسالته وجعل الله رسالتي رحمة بكم لما فيها من الرخصة والسماحة، فمن ذلك أنني أحل لكم بعض ما كان محرماً عليكم في شريعة موسى، وعندي معجزة ظاهرة ودليل ثابت على صدقي فيما أدعو إليه، فخافوا الله واتبعوني، واخشوا الله وصدقوني، وفي هذا ركنا العبادة: الطاعة لله، واتباع رسله، أو قل: الإخلاص والمتابعة.

﴿٥٦﴾ **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ﴿٥٦﴾

إن الذي يستحق الألوهية وله العبودية هو الله وحده الذي خلقني وخلقكم، فأنا لست إلهاً ولا ثالث ثلاثة ولا ابن الله، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإنما أنا عبد من عبده، أكرمني بالرسالة، هذا هو الحق البين الواضح، والطريق القويم الموصل إلى النعيم المقيم، والفوز العظيم.

﴿٥٧﴾ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴿٥٧﴾

فلما شعر عيسى بتكذيب اليهود ومكرهم وإرادتهم قتله كما فعلوا بالأنبياء قبله قال للمؤمنين ممن صدقوه واتبعوه: من يحميني لأبلغ دين الله؟ ومن يدفع معي أعداء الله؟ فقال الخلّص وهم الصفوة من أتباعه: نحن ننصرك، وقد شهدنا بأن لا إله إلا الله ولا نشارك به شيئاً، ونحن نستشهدك على صدقنا وانقيادنا لما جئت به من عند ربك.

﴿٥٨﴾ **رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴿٥٨﴾

ثم دعوا ربهم فقالوا: يا ربنا قد صدّقنا بما أنزلت على عيسى من الإنجيل واتبعناه، فاكْتُبْنَا مع الصادقين يوم القيامة الذين يشهدون على غيرهم من الأمم، وفيه أن أعظم ما يتوسل، إلى الله به هو الإيمان به وبرسله، وأن الصدق في الدنيا نجاة في الآخرة.

﴿٥٩﴾ **وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ** ﴿٥٩﴾

ودبروا لعيسى مكيدة، وحبكوا خُطَّةً لقتله، فأحبط الله خطتهم، ورد كيدهم، بأن شبه لهم غير عيسى فحسبوه هو، وسلم عيسى ورفعوه، وقتلوا الخائن المندس الشبيه لعيسى فلبس الله عليهم أمورهم، وهتك أستارهم، وأذلهم لأنه أقوى منهم مكرراً، وأعز جانباً، وأعظم قدرةً، فهو يكيدهم لأوليائهم ويكيدهم ويمكر بأعدائهم.

﴿٥٥﴾ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْجَمَ مَا كُنْتَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ رَبِّكَ فَأَخَذْنَا مَثَلَهُ فِي آيَاتِنَا أَنْ يَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**

أخبر الله عيسى أنه سوف يميتته مثل ما يميت عباده، ويرفعه إليه مكرماً معززاً، ويحميه من كيد الفجار، ويظهره من رجس الأشرار الذين أرادوا قتله فخذلهم الله وأذلهم، وأخبره الله بذلك ليطمئن إلى حسن التدبير وجميل المصير، ورفع عيسى كان بروحه وجسده، (فالنصارى) كاذبون في قولهم أن عيسى قُتل، فكيف يُؤلَّه ثم يُقتل؟! ولو كان إلهاً فهل الإله يقتل ويصلب! وقد كذب الله دعواهم، وصدق الله وكذبوا، وتعالى الله وخابوا.

وأخبر الله عيسى أنه سوف يرفع أتباعه ويعزهم وينصرهم إلى يوم القيامة وهم من صدق برسالته، واتبعه قبل مبعث الرسول ﷺ، وكذلك من آمن بعيسى من أتباع محمد ﷺ دون اليهود الذين كذبوه، والنصارى الذين ألَّهوه، ومرجع من اختلف في عيسى إلى الله يوم القيامة؛ ليحق الحق ويبطل الباطل، ويثيب المؤمن الصادق، ويعذب الكافر الكاذب؛ لأنه الحكم العدل، قوله فصل ليس بالهزل ورحمته فضل.

﴿٥٦﴾ **فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابٌ شَدِيدٌ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**

فأما من كذبك وكفر بما أنزل عليك وزعم أنك إله وأنهم صلبوك، فلهم خزي في الدنيا من النذل والقتل والأسر والتشريد، ولهم في نار جهنم عذاب أليم، لا ينصره ناصر ولا يشفع له شافع، وهؤلاء هم أهل الصليب وأهل التثليث.

﴿٥٧﴾ **وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فَعَمَلُهُمْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**

وأما من صدق بالرسالات وآمن بالله وعمل أعمال البر من صلاة وزكاة وغيرها فالله - تعالى - يحفظ لهم ثوابهم، ويتم لهم أجرهم كاملاً غير منقوص؛ لأنه لا يحب من ظلم، فكيف يظلم - سبحانه - وقد حرم الظلم على نفسه، فلا يبغض محسناً حسناته، ولا يزيده على مسيء سيئات لم يعملها.

﴿٥٨﴾ **ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ**

هذه الأخبار نقصها عليك - يا محمد -، وهي بالصدق أتت، وبالحق نزلت في هذا الكتاب المبارك الذي أوحيناه إليك، وفيه الشرف لك ولقومك، والحكمة المتناهية؛ لأن من أنزله عزيز كمل سؤدده وعظم ملكه، حكيم فصله بعناية وأنزله للهداية.

﴿٥٩﴾ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**

إن خلق عيسى كخلق آدم، فإن آدم خلق بلا أب ولا أم، وهذا أتم في الإعجاز، وأكمل في القدرة، فخلق عيسى من باب أولى وفيه ضرب الأمثال، والإقناع بالتدرج، وإحالة المشكوك فيه إلى المعلوم، فآدم متفق عليه بين عقلاء البشرية أنه من تراب، صور بكلمة «كن» من الله، فلا يستغرب إذا خلق عيسى.

﴿٦٠﴾ **الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**

هذا فصل الخطاب في قضية عيسى، وهو الصدق البيِّن والحق الواضح، فلا تشكَّ مع من شك، بل اعتقد ما قلناه ولا تلتفت لغيره من الهراء، ولا تصدق سواه من الافتراء.

﴿٦١﴾ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**

فمن خالفك وخاصمك بعد هذا الحق الذي أخبرناك به فباهلهم مباهلة، وأمرهم أن يجمعوا أحب الناس إليهم من الأبناء والنساء، ثم ادعوا جميعاً أن يلعن الله الكاذب في شأن عيسى، وقد دعا ﷺ نصارى نجران للمباهلة فامتنعوا فظهر الحق وبطلت دعواهم الكاذبة الآثمة، فكل كاذب له حظ من اللعنة قلَّت أو كثرت.

﴿ ٦٦ ﴾ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**

إن الذي أخبرناكم به في شأن عيسى ابن مريم هو الصحيح الثابت، والحق القاطع، فهو عبد نبي كريم على الله، أمه مريم وليس له أب، خلُق بكلمة: "كن" وليس كما قال: اليهود: إنه أتى من حرام عليهم لعنة الملك العلام، ولا ما قالت النصارى إنه ابن الله، عليهم غضب الله، بل الصحيح ما في القرآن لا ما قاله الفريقان، فليس هناك إلا إله واحد يستحق العبادة، وهو الله وحده لا عيسى ولا غيره وليس لله صاحبة ولا ولد، بل أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والله وحده صاحب العزة، فمن عزته أنه تفرّد بالجلال وتوحد بالكمال فقهر ما سواه وأعز من والاه، وأذل من عاداه، وهو الحكيم وحده، فمن حكمته أنه أحسن لما أبدع، وبهر العقول بما صنع.

﴿ ٦٧ ﴾ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ**

فإن كذبوا هذا الحق الذي أنزل عليك، والصدق الذي أوحى إليك من إخلاص التوحيد لله، وعدم الإشراف به، فاعلم أنهم مفسدون؛ لأن من رفض الدليل ورد الحجة وكفر بالبينة فاسد القلب والتصور، والله عالم به سوف يجازيه بما فعل.

﴿ ٦٨ ﴾ **قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**

قل - يا محمد - لليهود والنصارى: هلموا نتفق على كلمة عادلة وقضية فاصلة تجمع بيننا وبينكم، وهي أن نوحّد الله بالعبادة، ولا نشرك معه غيره، ولا يؤلّه مخلوق مخلوقاً مثله، ويصرف له شيئاً من العبادة، من الأوثان والشيطان والصلبان، ولا كفعل اليهود في عبادة عزير، والنصارى في عبادة عيسى، ولا في اتخاذ العلماء والعباد أرباباً يحللون ويحرمون من دون الله، فإن امتنعوا عن قبول هذه الدعوة وأبوا إلا الكفر والتكذيب، فقل اشهدوا أيها اليهود والنصارى أننا وحدنا الله ولم نشرك به شيئاً، وكفرنا بكل ما يعبد من دونه، وهذه حقيقة الإسلام الذي معنا الاستسلام والانقياد والخضوع لله رب العالمين.

﴿ ٦٩ ﴾ **يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**

أيها اليهود والنصارى كيف تدعون كذباً وزوراً أن إبراهيم يهودي أو نصراني، والتاريخ يشهد أن إبراهيم قبل اليهودية والنصرانية بأعوام مديدة وقرون عديدة، فلا بالوحي أخذتم ولا بالتاريخ صدقتم، ولا بالعقل حكمتم، فالتوراة نزلت على موسى بعد إبراهيم، والإنجيل على عيسى بعد الخليل فلماذا هذا التحريف والتبديل؟!؟

﴿ ٧٠ ﴾ **هَآأَنَّمْ هَآؤُلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**

أنتم أيها اليهود والنصارى خالصتم في قضية واضحة لكم وهي قضية عيسى، فقد أدركتموه وعشتم معه، لكن إبراهيم خالصتم في شأنه وهو قبلكم بقرون لا تعلمون أخباره، ثم تدعون أنه يهودي أو نصراني، فكيف يتكلم الإنسان فيما يجهل؟! وإلا فإبراهيم جاء بالحنيفية السمحة قبل مجيء موسى وعيسى، فلا شأن له باليهود والنصارى، فهم بعده بأزمان، لكن كيف تُقنّع من أصيب بالخدلان، فالعلم لله وحده؛ لأنه المطلع على كل شيء، أما أنتم فجهلاء أغبياء.

﴿ ٧١ ﴾ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**

لم يكن إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً - لتقدمه عليهما - ولكن كان حنيفاً مسلماً، ولم يك من المشركين، كمن قال: عزير ابن الله والمسيح ابن الله.

﴿ ٧٢ ﴾ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**

إن أحق الناس باتباع إبراهيم الخليل هو هذا النبي الكريم محمد ﷺ وليس اليهود ولا النصارى، وكذلك من اتبع إبراهيم على الحنيفية السمحة ملة التوحيد من سائر الأمم وأتباع محمد ﷺ إلى قيام الساعة، فكل حنيف مسلم

موحيد بريء من الشرك، فهو على دين إبراهيم الذي رضيهِ الله وأحبه وتولى من دان به، ومن تولاه الله أحسن رعايته وأيده، وأصلح أموره وأسعده.

﴿ ٧٦ ﴾ **وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضُلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**

تمنى فريق من اليهود والنصارى ردَّتكم عن الإسلام وإغواءكم عن طريق الهداية بإثارة الشبه ونشر الفتنة حسداً لكم على الهداية وبغياً منهم وإمعاناً في الغواية، ولكن لن يضروكم، فالله تولى أمركم، وسوف يرد كيدهم وضررهم على أنفسهم، فيضاعف لهم العذاب، ويعظم لهم العقاب، لكنهم لا يعلمون سوء ما يفعلون، فعل السفية الغبي، ولا يدركون خطورة ما يصنعون، تصرف الأحمق الشقي.

﴿ ٧٧ ﴾ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ**

أيها اليهود والنصارى لماذا تكذبون محمداً ﷺ وما أنزل الله عليه من قرآن، وأنتم تعلمون علم اليقين أن ما جاء به حق؛ لأنه مذكور في كتبكم، بُشِّرْت به أنبياءكم، ووجدتم علامات صدقه ظاهرة، وآيات نبوته باهرة، فأنتم ضللتهم عن عمد، وكفرتهم على قصد.

﴿ ٧٨ ﴾ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**

أيها اليهود والنصارى لم تخلطون الحق بالباطل تلبساً للناس ومخادعة، بتحريفكم كلام الله؟ ولماذا تجحدون الحق الثابت لديكم وهو صدق محمد ﷺ؟ فما ظهر من الحق لبستموه، وما سوى ذلك كتمتموه، فأنتم بين تدليس وتلبيس من إبليس، وأنتم متيقنون صدق الرسول محمد ﷺ وصحة ما جاء به.

﴿ ٧٩ ﴾ **وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءآخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**

وقال بعض علماء اليهود لعامتهم: صدَّقوا بالقرآن وبرسالة محمد ﷺ أول النهار، وارجعوا عن دينكم آخره؛ لأن الناس إذا رأوا ذلك دخلهم الشك في الإسلام فارتدوا عنه؛ لأنهم سوف يقولون: إن اليهود كشفوا خلافاً ونقصاً في الإسلام فتركوه، فيتركون هم دين الإسلام، وهذا من مكر اليهود وخبثهم وإيغالهم في الشر والفجور.

﴿ ٨٠ ﴾ **وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ**

وقالت اليهود بعضهم لبعض: لا تثقوا ولا تصدقوا إلا لمن كان يهودياً؛ تعصباً أعمى للباطل، أما غير اليهودي فلا يقبل قوله بل هو متهم عندهم، فأخبر - تعالى - أن الهدى ليس بهوهم ولا على ما أرادوا، بل هو في الدين الإسلامي الصحيح الذي بُعث به محمد ﷺ، وخشي اليهود أن يكرم الله غيرهم بالرسالة، فرفضوا الاعتراف لغيرهم بالحق؛ حسداً وبغياً وخوفاً من أن يحتج عليهم المسلمون يوم القيامة إذا أقروا بنبوة محمد ﷺ ثم خالفوه فتآمروا ألا يصدقوا به أصلاً، ولا يجعلوا للمسلمين عليهم طريقاً من الإقرار بنبيتهم، فأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يخبرهم أن النبوة ليست ملكاً لهم وليست حكراً عليهم، بل هي فضل بيد الله يعطيها من يشاء من عباده، والله أعلم حيث يجعل رسالته؛ لأنه كثير التفضل كريم العطاء، جزيل الهبات، عليم بمن يستحق النبوة والولاية، مطلع على من هو أهل للفضل مستحق للكرامة.

﴿ ٨١ ﴾ **يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**

والله - تعالى - يجتبي للنبوة ويختار للرسالة من يصلح لها من عباده مثلما شاء سبحانه؛ لأن عطاءه عظيم لا تحده الأوهام، وفضله واسع لا يقدر قدره الأنام، فالنبوة فضل رباني لا نسب ولا حسب ولا مال ولا جاه، لكنها العناية والرعاية لمن شاء الله له ذلك.

﴿ ٧٥ ﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ سَيْلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

في اليهود الأمين والخائن، فالأمين لو اتتمنته على مال كثير رده إليك؛ لما عنده من الضمير والأمانة والورع، وهذا من إنصاف القرآن ومن العدل في الحكم، ومن اليهود الخائن الذي لو اتتمنته على قليل من المال لما رده إليك، ولخائنك إلا إذا كنت مراقباً له لا تفارقه، حينها يخشاك، وفي هذا دليل على أنه لا ينبغي لنا التعميم في الأحكام، بل يجب التفصيل حتى لا يظلم أمين ولا يزكى خائن، والذي يحمل اليهود على خيانة المسلمين أنهم يعتقدون أنه يجوز لليهودي أن يخون غيره، وليس للأمينين الذين هم العرب احترام عندهم، ولا لأموالهم قيمة، ولا لأنفسهم عصمة، فحملهم هذا الكذب على استباحة أموال الناس واستحلالها، فكذب الله - سبحانه - وتعالى قولهم، وأخبر أنهم يعلمون أنهم كذبة، وأنهم مفترون فيما زعموا.

﴿ ٧٦ ﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾

وليس الأمر كما زعموا بأنه يعفى عن خان في أموال غيرهم، بل الصحيح أن من اتقى الله - سبحانه وتعالى - ووفى بعهده وراقب مولاة ورد الأمانة إلى أهلها فهذا من التقوى، والله يحب المتقي وهو من يخاف ربه ويراقب مولاة ويخشى إلهه ويحفظ حدوده.

وفي هذه الآية تضمين للرد عليهم أنه ما أصابوا حينما سامحوا أنفسهم في أموال غيرهم، فأخبر الله أن الخائن محاسب معاقب، وأن الأمين مثاب مكرم.

﴿ ٧٧ ﴾ إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

إن هؤلاء اليهود وأمثالهم الذين باعوا دينهم بثمن بخس، وبقيمة رخيصة من حطام الدنيا وجأهاها وعرضها الزائل، هؤلاء ليس لهم نصيب عند الله من المغفرة، ولا حظ من الرضوان، وجزاؤهم أن الله يعرض عنهم يوم القيامة غضباً عليهم ومقتاً لهم وسخطاً عليهم، فلا يكلمهم - سبحانه وتعالى - ولا ينظر إليهم نظر رحمة ولا يطهرهم من ذنوبهم، ولا يخلصهم من دنس معاصيهم، ولهم عند الله - سبحانه وتعالى - عذاب مؤلم لسوء صنيعهم وجرمهم، وعلى ما فعلوه من فساد في الأقوال والأعمال والأحوال والأموال، فهم كذبة في الأقوال مكذبون للرسول، كافرون بالأنبياء، خونة في المال، ناقضون للعهود، فجزاؤهم عند الله ما يستحقونه يوم القيامة.

﴿ ٧٨ ﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوَنَ أَسْنَنَهُمْ بِالْكَتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

من اليهود طائفة تحرف أسنتها في قراءة التوراة لتغير مدلول كلام الله - عز وجل - عن مقاصده ومراميه؛ ليتوهم الناس أن هذا الكلام المتلوي المحرف هو من كلام الله في التوراة، وهذا كذب منهم وبهتان على طريقتهم، فأتوا بخطأين عظيمين: خطأ التبديل والتغيير لكلام الله، وخطأ الكذب والافتراء على الله - عز وجل -، وهذا الكذب الذي افتروه والباطل الذي فعلوه هم يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم كذبوا على الله - عز وجل - فهم غيروا صفات محمد - عليه الصلاة والسلام - وأنكروا سماته في التوراة، وتلاعبوا في الحدود، وقدموا وأخروا في كتاب الله المنزل، فجزاؤهم غضب من الله - سبحانه وتعالى - وعذاب شديد ينتظرهم، وكل من فعل فعلهم من هذه الأمة من الذين شابهوهم من الفرق الضالة، من الفرق المغضوب عليهم الذين غيروا النص وبدلوا وحرفوا في معاني كلام الله، وكلام رسوله ﷺ.

﴿ ٧٩ ﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿

ليس لأحد من الناس بعد أن يشرفه الله - سبحانه وتعالى - بالحكمة والنبوة والعلم النافع أن يدعو الناس إلى عبادة شخصه والإشراك به من دون الله - عز وجل - هذا لا يكون أبداً في الفطر السوية، ولا في العقول الصريحة، ولا النقول الصحيحة، هذا لا يمكن أن يكون، وهذا يدل على افتراء النصارى على عيسى - عليه السلام - حينما زعموا أنه دعا الناس إلى عبادته، وأنه أمرهم أن يعبدوه من دون الله - عز وجل - إنما أرسله رسولاً وعبداً له ليدل الناس عليه، ويأمرهم بعبادته وحده - سبحانه وتعالى - وهذا الذي حصل من عيسى فإنه أخلص العبودية لله، وأخلص في دعوة الناس إلى الله، إن هذا الرسول الذي يبعثه الله - سبحانه وتعالى - إنما يدعو الناس إلى طاعة الواحد وإلى تمام العبودية والألوهية لمن أرسله - سبحانه - ويأمر الناس أن يكونوا ربايين يتعلمون الحكمة التي أنزلها الله على رسله، فيربون أنفسهم بالعلم النافع والعمل الصالح، فمن تعلم العلم وعمل به وعلمه الناس وصبر على ذلك فهو رباني يدعى في الملأ الأعلى، وإنما نُسب إلى ربه تشریفاً؛ ولأن أصل العلم من عند رب العالمين، وهذا الأصل في كل مسلم وداعية فضلاً عن الأنبياء والرسل الذين هم أكمل الخلق، فإنهم يدعون الناس إلى أن يكونوا عباداً حكماء علماء يعلمون الناس الكتاب والحكمة، شكر لله على ما علمهم ودرّسهم وفقهم في الدين.

﴿ ٨٠ ﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿

لا يحق لنبي كائناً من كان أن يدعو الناس إلى عبادة الملائكة من دون الله أو الأنبياء واتخاذهم أرباباً يصرف لهم شيئاً من العبودية، وشيئاً من معالم الألوهية، كيف يفعل النبي هذا الفعل والله إنما أرسله لإصلاح الناس وردهم إلى ربهم وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان؛! أيمن أن يأمر النبي الناس بالإشراك بالله بعد أن وحدوه - سبحانه وتعالى - وألوهه وأخلصوا له العبودية؟ هل يصح من رسول شرفه الله - سبحانه وتعالى - برسالة التوحيد أن يغوي الناس وأن يضلهم وأن يصرفهم عن عبادة الله؟ وهذه هي دعوى النصارى - قاتلهم الله - فإنهم زعموا أن عيسى إنما دعاهم لعبادته وعبادة أمه، وهذه فرية عظيمة وكذبة وخيمة قاتلهم الله أتى يؤفكون.

﴿ ٨١ ﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿

واذكروا - أيها اليهود والنصارى - يوم أن أخذ الله ميثاق المرسلين وألزمهم بالعهد المؤكد من أجل ما وهبهم الله - سبحانه وتعالى - من الكتاب المنزل والحكمة المؤيدة من عنده، هذا العهد أنه إذا بعث رسولاً بعدكم من عنده - سبحانه - وهذا الرسول يصدق ما عندهم ليصدقنّه هؤلاء الأنبياء ولينصرتنّه، فالله - سبحانه وتعالى - ما بعث نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لتن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمننّ به ولينصرتنّه، وأمره بأخذ الميثاق على أمته فسألهم - سبحانه وتعالى - هل اعترفتنم؟ هل آمنتم بهذا العهد؟ هل ذكرتم هذا الميثاق؟ هل قمتم بلوازم هذا اليمين؟ قالوا: اعترفنا، فلما اعترفوا أمر الله - سبحانه وتعالى - بعضهم أن يشهد على بعض، فإذا شهد بعضهم على بعض فالله - سبحانه وتعالى - معهم من الشاهدين على هذا الإقرار العظيم، وملخصه أن عليهم أن يؤمنوا بالرسول الخاتم ﷺ الذي بعث مصدقاً لما قبله ﷺ.

﴿ ٨٢ ﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿

فمن نكث هذا الميثاق ونقض هذا العهد منكم أيها اليهود والنصارى بعدما أقررتنم على أنفسكم، وبعدها شهد بعضكم على بعض فمن أعرض من بعد ذلك فهذا خارج عن طاعة الله، كاذب خائن، وهذا الميثاق هو ميثاق مقدس عظيم،

وهو شرف لرسولنا الكريم ﷺ، وهو شهادة من الواحد الأحد برسالته قبل أن يبعثه احتفاءً بهذه النبوة، وتقديماً لها وإشهاراً لمكانته - عليه الصلاة والسلام - عند جميع الأمم.

﴿ ٨٣ ﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿ ٨٣ ﴾

أبحث اليهود والنصارى عن دين آخر غير هذا الدين الحق دين الإسلام؟ أيريدون منهجاً غير منهج الله الذي رضيه لأنبيائه وعباده الصالحين؟ لماذا لا يتبعون منهج الله - سبحانه وتعالى - الذي رضيه؟ والله - سبحانه وتعالى - عظيم قد انقاد له وخشع كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن وأقبلوا إليه مسلمين مدعنين إما عن طاعة وحب، وإما عن قهر وإجبار، فالكل منقاد له - سبحانه وتعالى - وطائع وذليل، فما يحق لهؤلاء المنحرفين عن منهج الله إلا أن يدخلوا فيما دخل فيه الخلائق من الاستسلام للواحد الأحد، فمرجعهم إليه يوم العرض الأكبر، يجازيهم بأفعالهم ويحاسبهم بأقوالهم وأعمالهم، وهو مطلع على أحوالهم لا رب سواه ولا نعبد إلا إياه.

﴿ ٨٤ ﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ ٨٤ ﴾

قل - يا محمد - أنت والمؤمنون معك: صدقنا بوحداية الله، وآمنا بالوهمية ربنا - سبحانه وتعالى - واعرترفنا بربوبيته وأسمائه وصفاته، وآمنا بما أنزل الله على أنبيائه المرسلين المصطفين المذكورين في الآية، وصدقنا بما نزل الله - عز وجل - من التوراة على موسى والإنجيل على عيسى؛ لأن موسى وعيسى أعظم أنبياء بني إسرائيل، وهما من أولي العزم، ونحن أيها المؤمنون نؤمن بجميع المرسلين، ولسنا كاليهود الذين آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد، ولا كالنصارى الذين آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد وموسى، ولكننا آمننا بالجميع، لا نفرق بين أحد منهم، فكلهم مرسلون صادقون أنبياء كرام، وإقرارنا هذا لله - سبحانه وتعالى - بالالوهية وبالعبودية وبالربوبية، هذا هو الدين الصحيح، وهو دين الإسلام الذي جاءت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فنحن المسلمون حقاً، ونحن المصيبون صدقاً، وأما غيرنا فبدلوا وغيروا وحرّفوا وآمنوا ببعض وكفروا ببعض، ألّهُوا بعض الأنبياء وقتلوا بعض الأنبياء، ونحن آمننا بالجميع، وصدقنا الجميع، والحمد لله رب العالمين.

﴿ ٨٥ ﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ ٨٥ ﴾

من يرد ديناً غير هذا الدين الذي بعث به محمد ﷺ وهو دين الإسلام فلن يقبل الله دينه ولا طاعته ولا عبادته بعد مبعث الرسول - عليه الصلاة والسلام - نسخت كل الأديان وبطلت دينه وبرسالته، وهذه الآية رد على من افتري على الله، وكذب على دينه وادعى أن اليهود والنصارى إذا كانوا على ديانتهم ولم يعتنقوا الإسلام أنهم مصيبون؛ لأنهم تمسكوا بما عليه أنبيائهم، وهذه كذبة عظيمة تردها الآية، ونشهد الله - عز وجل - على أن الله لا يقبل بعد مبعث الرسول ﷺ من العبد إلا دين الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية ولا غيرها من الأديان، فالإسلام دينه المرتضى، وصراطه السوي، وطريقته المثلى.

﴿ ٨٦ ﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ ٨٦ ﴾

كيف يكون على هدى ويكون مصيباً من كذب خاتم النبيين محمداً ﷺ بعد أن علم أن رسالته حق، وبعد أن شهد أن ما جاء به من عند الله حق، وبعدما وجد وصفه ﷺ موجوداً في التوراة والإنجيل، مثل هذا كيف يهتدي؟ كيف يسدّد؟ إن الذي يفعل هذا الأمر بعد أن يستبين له الحق جدير بأن يضلّه الله - سبحانه وتعالى - ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً يوم القيامة؛ لأنه ظالم، حرّف الأدلة، ورد الحجّة، وتكذب الحجّة، والله لا يهدي من هذا شأنه في الظلم

والطغيان والبغي، وهذا هو فعل اليهود والنصارى بعد مبعثه ﷺ، فقد تبين لهم الحق وظهرت لهم الأدلة، وبانت لهم البراهين ثم رفضوا ذلك كله.

﴿ ٨٧ ﴾ **﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾**

هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل وكذبوا محمداً ﷺ بعد ما بان لهم الحق، فهؤلاء كفار أشرار جزاؤهم عند ربهم - سبحانه وتعالى - لعنة ماحقة ساحقة محرقة، يلعنهم الله بها فيطردهم من رحمته، وتلعنهم الملائكة والناس أجمعين، المهتدي والضال، الصالح والطالح؛ لأنهم كتموا شهادة عندهم من الله؛ ولأنهم نكثوا عهد الله؛ ولأنهم حاربوا رسول الله، وردوا الحجة البينة من الله.

﴿ ٨٨ ﴾ **﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾**

فجزاء هؤلاء أن يبقوا معذبين أبد الأبد في نار جهنم، ولا يُخَفَّفُ اللهُ عذابهم ولا يرفع عقابهم، ولا يشفع فيهم شفيع، ولا يدافع عنهم مدافع، ولا ينصرهم ناصر؛ لأنهم جاهدوا الله بالعداوة وكفروا عن قصد، وكذبوا عن عمد، ورفضوا الهداية التي بعث بها نبي الله ﷺ.

﴿ ٨٩ ﴾ **﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾**

لكن من عاد إلى الله - سبحانه وتعالى - ورجع إلى الحق وآمن بمحمد - عليه الصلاة والسلام - وكفر بما يُعبد من دون الله - عز وجل - واهتدى بالنور الذي بعث به ﷺ واتبع سنته واهتدى بهديه فهؤلاء يغفر الله ذنوبهم، ويستريح عيوبهم، ويتجاوز عن أخطائهم، ويعفو عن سيئاتهم، فإنه - سبحانه وتعالى - كثير المغفرة، واسع الرحمة، لا يتعاضمه شيء، وهذا فتح باب التوبة لمن فعل الفعل الشنيع، والعمل الفظيع، فكيف بغيره ممن هو أقل منه من أهل الكبائر وأهل المعاصي، وهذا فيه رجاء كبير من رحمة أرحم الراحمين.

﴿ ٩٠ ﴾ **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾**

إن اليهود الذين كفروا بعبسى بعد أن آمنوا بموسى ثم ازدادوا طغياناً وعتواً فكفروا بمحمد - عليه الصلاة والسلام - هؤلاء زادوا شراً إلى شر، وفجوراً إلى فجور، هؤلاء الخونة المعرضون الناكثون لعهد الله لا يقبل الله - سبحانه وتعالى - توبتهم؛ لأنهم لا يتوبون إلا عند الموت ولا يغفر ذنوبهم، ولا يتجاوز عنهم؛ لأنهم ضلوا وأضلوا، وصدوا عن سبيل الله - عز وجل - وأغرقوا في الكفر وأمعنوا في الضلال وأكثروا من الفساد.

﴿ ٩١ ﴾ **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُبَكَّلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَسْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾**

الذين كفروا بالله وكذبوا رسله واستمروا على ذلك حتى ماتوا ولم يسلموا، هؤلاء لو أتوا يوم القيامة بما يعادل الأرض ذهباً وجعلوه فدية لهم من عذاب النار، لن يقبل الله - سبحانه وتعالى - منهم هذه الفدية، ولن يخرجهم من النار، بل لهم عذاب أليم موجع، خالد في النار، ليس لهم نصير يدفع عنهم العذاب، ولا ولي يجلب لهم الثواب، وإنما هم في أشد النكال، جزاء لما فعلوا واقترفوا.

﴿ ٩٢ ﴾ **﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا نُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾**

لن تصلوا إلى أفضل الأعمال وأعظم الأحوال حتى تتصدقوا من أفضل أموالكم وأحبها إلى نفوسكم وأغلاها وأنفسها وتؤثروا ما لله - عز وجل - على ما لأنفسكم، وتختارون في الصدقة ما تصطفون لأنفسكم، فتجعلونه لوجه الله، حينها تحظون بالأجر الجزيل، والثناء الجميل، والله - سبحانه وتعالى - يعلم النيات، ويطلع على الخفيات، فيعلم من تصدق لوجهه، ومن أنفق رياءً وسمعة، فلا يضيع عمل عامل.

﴿ ٩٤ ﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلْيَهُودِ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿﴾

كل الأطعمة كانت حلالاً لليهود إلا لحوم الإبل وألبانها، فإنها كانت محرمة على يعقوب حرمها على نفسه، فحرمت عليهم تلك الأطعمة نكالاً من الله - سبحانه وتعالى - وعقوبةً لهم؛ لأنهم قتلوا الأنبياء، وسفكوا الدماء، ونقضوا العهد والميثاق، وحاربوا الله - سبحانه وتعالى - وأولياءه، فحرمهم - سبحانه وتعالى - من بعض الأطعمة، ثم أمر الله - سبحانه وتعالى - الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقول لليهود: تعالوا بالتوراة فاقروا علي ما ادعيتموه من كذب أن الله - سبحانه - حرم على إبراهيم لحوم الإبل وألبانها؛ لأنكم افترتتم عليه وكذبتتم، فلما طالبهم أن يخرجوا من التوراة التحريم الذي زعموه انهزموا وانقلبوا صاغرين، ولم يستطع عالم منهم أن يخرج شيئاً من التوراة يؤيد ما ذهبوا إليه من الكذب، وفيه دليل على صدق النبي ﷺ.

﴿ ٩٥ ﴾ فَمَنْ أَفَرَّى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿﴾

فمن أتى بالكذب من بعد ظهور الدليل، وقيام الحجة، وصدق الرسول ﷺ؛ من بعد أن ظهر كذبه هو بما ادعاه أن التحريم كان على الرسل السابقين، وليس بسبب عصيان اليهود ولا بنقضهم الميثاق، فمن قال هذا القول فهو مفترٍ على الله - سبحانه وتعالى - كاذب في دعواه، ومن حرف الكلم وغير المعاني فإنه ظالم لا ينصف، ولا يلتفت إلى البينات، والظالم حظه العذاب، وجزاؤه النكال.

﴿ ٩٦ ﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿﴾

قل - يا محمد - لليهود والنصارى: صدق الله فيما قال وأنزل وكذبتتم - أنتم أيها النصارى - في دعواكم أن إبراهيم كان نصرانياً، وكذبتتم أنتم أيها اليهود في دعواكم أن إبراهيم كان يهودياً، فليس يهودياً ولا نصرانياً، ولم يكن مشركاً، بل كان حنيفاً مسلماً موحداً، وهذا هو الدين الذي رضيه - سبحانه وتعالى - والذي دعا إليه رسول الهدى محمد ﷺ.

﴿ ٩٧ ﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿﴾

أول مسجد أقيم في الدنيا هو المسجد الحرام الذي بناه الخليل إبراهيم، وهذا المسجد مباركٌ، فهو كثير الخير، واسع الرزق؛ لما يجبي إليه من الثمرات، ولما يُقام فيه من التجارة والخير العظيم، وفيه أيضاً فوزٌ في الآخرة لما يحصل فيه من عبادة من صلاة واعتكاف، وحج وعمرة، وذكر لله - عز وجل -، وفيه خير الدنيا وخير الآخرة وفي الصحيح أن «المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة».

﴿ ٩٨ ﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿﴾

في هذا المسجد العظيم علامات واضحات على فضله وشرفه وقديسيته؛ كالكعبة المشرفة، والحجر الأسود، والصفاء والمرورة، وزمزم وحجر إسماعيل ونحو ذلك من تلك المعالم العظيمة الجليلة، والله - سبحانه - أوجب على الناس من استطاع منهم أن يحج هذا البيت العتيق وهذا من أركان دينه القويم، ومن ترك الحج وهو قادر على الحج فإن الله - سبحانه وتعالى - غنيٌّ عن عبادته، وليس - سبحانه وتعالى - محتاجاً إلى من أعرض من خلقه وأدبر من عباده، وغلظ - سبحانه وتعالى - الكفر هنا إما أن ترك الحج مع الاستطاعة يؤدي إلى الكفر، أو أن من جحد هذا الركن كفر، وهذا البيت نوه الله بشرفه بأول مساجد الدنيا وبالآيات البينات والعلامات الظاهرات، وبأن جعله - سبحانه وتعالى - آمناً لمن دخله.

﴿ ٩٨ ﴾ قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهِ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿

قل - يا محمد - لليهود وللنصارى: لماذا تكذبون بالقرآن وتكفرون برسائلي وقد قامت الدلائل البينة والحجج القاطعة على صدقي فيما أتيت به، والله - سبحانه وتعالى - لا تخفى عليه خافية من أعمالكم، ومن تكذبيكم، فهو - سبحانه وتعالى - شاهد على ما أرسلني به وشاهد على ما فعلتم وعلى ما كذبتم، وسوف يجازيكم بسوء صنيعكم وفضاعة جرمكم إذا عدتم إليه يوم القيامة.

﴿ ٩٩ ﴾ قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مِن ءَآمَنٍ تَبَّعُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿

أيها اليهود والنصارى لماذا تصرفون الناس عن الهداية إلى الإسلام؟ ولماذا تشككون في دين الله - سبحانه وتعالى - الذي بعث به محمداً ﷺ؟ ولماذا تورثون الناس الشبهة وتلقون الكلام المحتمل وتريدون من الناس الانحراف بعد أن دعاهم الله - سبحانه وتعالى - إلى إجابة رسوله ﷺ وأنتم تعلمون حق العلم أن محمداً ﷺ صادق، وأن دينه حق، وأنه رسول من عند الله، والله - سبحانه وتعالى - لن يترك هذا لكم ولن ينساه، وسوف يجازيكم بهذا الصنيع؛ لأنكم جمعتم بين الضلال في أنفسكم وإضلال العالم.

﴿ ١٠٠ ﴾ يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَآبَ يَرُدُّوكُم بِعدَايِمِنكُمْ كَفْرِينَ ﴿

يا من آمن واتبع محمداً واهتدى بهداه، إنكم إن أطعتم طائفة من اليهود والنصارى صرفوكم عن دينكم بشبههم وبإغوائهم، فتقعون في الكفر بعد أن من الله عليكم بالإسلام وأنتم لا تشعرون، إذاً فلا تُصغوا إليهم ولا تسمعوا لكلامهم ولا تقبلوا شبههم، فإنهم أعداء لكم يريدون أن تتحولوا عن دينكم الذي أكرمكم الله به بغياً وحسداً من عند أنفسهم.

﴿ ١٠١ ﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿

فكيف ترثون - أيها المؤمنون - عن الإسلام والقرآن يُتلى عليكم بآياته البينات، وبمعجزاته الظاهرات، وفيكم رسول الهدى محمد ﷺ وقد ظهر صدقه، وبانت صحة دعواه، وبانت صحة رسالته، فاعتصموا بالله - سبحانه وتعالى - فإنه من يلتجئ إلى ربه ويفوض الأمر إليه، ويثق به، كفاه عما سواه، وهداه صراطاً سوياً وطريقاً قويمًا لا عوج فيه، وأسعده في الدنيا والآخرة. وفي الآية دليل على أن العبد لا يأمن الفتنة مهما بلغ في التقوى، وأن عليه أن يتزود من الطاعات وأن يكثر من العبادات، وأن يلتجئ بالدعاء في وقت الفتن والمحن، وفيها أن من جعل الله له ملاذاً عند الشبهات حفظه منها.

﴿ ١٠٢ ﴾ يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَآئِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿

أيها المؤمنون، يا من صدق بالله واتبع رسوله الكريم، عليكم بتقوى الله - عز وجل - بفعل المأمور واجتناب المحذور، وعبادته حق العبادة بأن تطيعوه فلا تعصوه، وتذكروه فلا تتسوه، وتشكروه فلا تكفروه، واحذروا أن تموتوا على غير الإسلام، فإن الإسلام هو الدين الذي رضي به - سبحانه وتعالى - لعباده، ومن اتقى الله - سبحانه وتعالى - وأصلح نيته وأخلص عمله، ثبته الله سبحانه وتعالى، فأماته مسلماً، وهي الأمنية الغالية، والمطلب العظيم الذي يسعى إليه أولياء الله وعباده الصادقون.

﴿ ١٠٣ ﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَاذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءَ قَآلِفٍ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿

واستمسكوا بالإسلام والقرآن واتباع الرسول - عليه الصلاة والسلام - ولا تختلفوا كما اختلف الذين من قبلكم من اليهود والنصارى، وتذكروا نعمة الله عليكم لما أخرجكم من الكفر إلى الإيمان، ومن الظلمات إلى النور، وهداكم صراطاً سوياً، وجمع قلوبكم على الخير، وألف بين أرواحكم بعدما كنتم متباغضين متناحرين، يقتل بعضكم بعضاً،

ويحارب بعضكم بعضاً، فأصبحتم كالأسرة الواحدة، بل أكثر في الأخوة من الإخوة في النسب، فصرتم يداً على من سواكم، وصار أذنكم يسعى بذمة أعلاكم، وصار أكرمكم عند الله أتقاكم، وكنتم قبل ذلك على طرف خطر وهاوية من الفتن والبغي، ومن الضلال والغي، فأخرجكم - سبحانه وتعالى - من تلك الجاهلية وأعد لكم ديناً قويمًا وهداكم صراطاً مستقيماً، ووفقكم إلى اتباع محمد ﷺ فأنتم كمثل من كان واقفاً على رأس حفرة عظيمة تشتعل ناراً يكاد يسقط فيها فهذا مثل من كان كافراً ثم أنقذه الله - سبحانه وتعالى - وبهذه الأمثلة ونحوها من الحجج يبين الله لكم - سبحانه وتعالى - الأدلة والبراهين، ويورد عليكم من الآيات ما فيه هدايتكم، وفيه دليل على أن الاطلاع على نصوص الكتاب والسنة يزيد في الإيمان، ويعظم الهداية واليقين عند العبد.

﴿ ١٦٤ ﴾ **وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿

وعليكم أن تُخصِّصُوا طائفةً منكم من أهل العلم والفضل والإحسان للدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - وتعليم الناس ما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم، فيأمرُوا الناس بكل معروف نصَّ عليه الشرع، وتعارف عليه العقلاء من الفضائل والآداب والأخلاق والسلوك، وينهوا عن كل منكر حرَّمه الله - سبحانه وتعالى - ورسوله، وما استقبَّحه أهل الفطرة والفضلاء، ومن يقيم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محتسباً، ويكون حسن الطريقة في الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - ليناً رفيقاً، ينلَّ أعظم المطالب، ويفزُّ بأحسن المراتب، فجزاؤه النجاة في الآخرة، والفوز برضوان الله سبحانه وتعالى.

﴿ ١٦٥ ﴾ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴿

احذروا - أيها المؤمنون - أن تكونوا كاليهود والنصارى الذين تفرقوا في أقوالهم واختلفوا في قلوبهم من بعد ما جاءتهم الرسل، ونزلت عليهم الكتب فضلُّوا على بصيرة، وغووا عن عمد، فجزاء أولئك عذاب عظيم عند الله - سبحانه وتعالى - من الخلود في النار، وغضب الجبار.

﴿ ١٦٦ ﴾ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴿

وتذكروا - أيها المؤمنون - يوم يبيضُ الله وجوه من آمن به، وصدق رسله، فتظهر عليها البهجة والسرور والفرح، ويسودُّ الله - سبحانه وتعالى - وجوه من كفر به، وكذب رسله، فيظهر عليها الأسف والكآبة والندامة، والخزي والعار، ويوبخ الكفار في تلك الدار، فيقال لهم ما لكم كفرتم بعد الآيات البينات؟ وما لكم ارتددتم بعد ظهور الحجج الواضحات؟ الآن تذوقون العذاب الأليم، والعقاب الشديد؛ جزاءً على فعلكم الآثم، وعلى جرائمكم الكبيرة؛ لأنكم عصيتُم الله - سبحانه وتعالى - بعد أن ظهر لكم البيان، وسطع لكم البرهان، فذوقوا الخزي والهوان، والنكال والخسران.

﴿ ١٦٧ ﴾ **وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴿

وأما من ظفر بالسعادة من أهل العبادة فهؤلاء لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وهم في رحمة الله ورحمة الله دائمة لا تنقطع؛ لأنها صفة من صفاته، فهم في الجنة مكرمون، في حبور وسرور ونور، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم، ولا يدركهم الهرم ولا العدم ولا السقم؛ جزاءً لعملهم البار في طاعة العزيز الغفار.

﴿ ١٦٨ ﴾ **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ** ﴿

هذا الكتاب المنزل عليك - يا محمد - نزل بالحق، وأتى بالصدق؛ ليهدي به الله من يشاء من عباده، فيبين لهم الحق ليتبعوه، والباطل ليجتنبوه، والله - سبحانه وتعالى - أقام الحجة وأوضح المحجة، وبين وأعذر إلى الناس لئلا يغوي غاو بلا برهان، ولئلا يضلَّ ضالَّ بلا دليل، فالله أرسل الرسول وأنزل الكتاب؛ لبيان الدليل للناس؛ لأنه - سبحانه وتعالى - لا يريد أن يظلم أحداً من الناس، والظلم أن يعذب أحداً بلا ذنب، والله منزّه عن ذلك، وليس هو سبحانه بظلام للعبيد.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

كل ما في الكون من خلق بما فيها الملائكة والإنس والجن وما يدب على ظهر الأرض، ملك لله الواحد الأحد، لا ينازعه في ملكه أحد، يتصرف في خلقه كيف يشاء، لا خالق ولا رازق ولا إله ولا معبود بحق إلا هو، ومن عدله - سبحانه وتعالى - أنه بين الشريعة، ووضع الطريق، وإليه - سبحانه - تعود الأمور، وينتهي الناس إليه، ومصير الخلائق عنده - جل في علاه - فيقيم يوم الدين فيثيب المحسنين ويعاقب الظالمين.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

أنتم - أيتها الأمة المحمدية - أفضل الأمم عند الله - سبحانه وتعالى - فلا توجد أمة تفضلكم؛ لأنكم تأمرون بكل خير وتنهون عن كل منكر بعدما آمنتم بالله وصدقتم رسوله، فأنتم أمة الشهادة على الناس، وأمة إقامة الحجة على العالم، وأمة الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - وأما أهل الكتاب فلو أنهم صدقوا بمحمد - عليه الصلاة والسلام - لأسعدهم الله في الدنيا والآخرة، ولأنجاهم من غضبه، ومن أليم عقابه، ولكن لم يصدق منهم إلا القليل؛ كعبد الله بن سلام، والنجاشي، وأما الكثير فقد استحبوا العمى على الهدى، وخرجوا عن طاعة الله، وحاربوا أوليائه، وتمردوا على شرعه.

﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يَفْتَلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَصُرُونَ﴾

لا يستطيع أعداؤكم من اليهود وغيرهم إدخال الضرر على المؤمنين؛ لأن الله يحميهم ويتولاهم، إلا أذى يسيراً يكفر الله به من سيئاتهم، كأذى الكلام والتهديد والوعيد والسب والشتم ونحو ذلك، ولكن لو حصلت المقاتلة والمنازلة في الميدان، فإن الله ينصر أوليائه من أهل الإيمان، ويجعل العاقبة لهم، وأما الكفار فيلقي الرعب في قلوبهم، وينزل الهزيمة بهم، ثم يفرّون من ساحة القتال، ومن أرض الجهاد، فليس لهم عند الله نصر ولا عزة في الدنيا ولا نجاة في الآخرة.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغْضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

هؤلاء اليهود ضرب الله - عز وجل - عليهم الذل والهوان والحقارة والخسة، فأينما وجدوا فهم مغلوبون مهزومون مهما انتصروا في بعض الجولات على المؤمنين، ولا يمكن أن يعصموا من هذا الذل والهزيمة إلا بعهد يعقدونه بينهم وبين الناس، فيبقون آمنين ما استمر هذا العهد، وهؤلاء اليهود قد رجعوا بغضب شديد من الله - سبحانه وتعالى - ولعنة وخزي بسبب ما فعلوه من نقض الميثاق، وقتل الأنبياء وتكذيب الرسل والعصيان والتحريف في الكتاب والتبديل في النصوص، والله - سبحانه وتعالى - أصابهم بالفقر النفسي والإحباط وخسة الهمم وسخف العزائم، فلا تلقى اليهودي إلا ذليلاً في داخله، يعبد المال ويكدر القناطر المقلطة ويريد الحياة الدنيا؛ لأنهم كانوا يكذبون بآيات الله، وقتلوا أنبياء الله - سبحانه وتعالى - بغير حق، وأكثروا من العصيان، فهم عصوا الله - سبحانه وتعالى - في ترك الأوامر واعتدوا بترك النواهي، وتولوا الشيطان وحاربوا الرحمن.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ إِنَّهٗ أَلْبَسَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾

أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليسوا على طريقة واحدة وعلى مستوى واحد، فمنهم المؤمن الذي آمن بمحمد ﷺ بعدما بُعث واستقام على أمر الله، وتلا كتابه - سبحانه وتعالى - بالليل قائماً، وأكثر من عبادة ربه واتقى مولاه.

﴿ ١١٦ ﴾ **يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾**

وهؤلاء يؤمنون بالله - سبحانه - وتعالى إيماناً صادقاً، فيوحدونه بالعبودية، ويفردونه بالألوهية، ويؤمنون باليوم الآخر وما جاء فيه، ويصدقون أنه الحق من عند الله - عز وجل - ويأمرون بكل خير وهدى ورشد، وينهون عن كل شر وردىً وغي، فهم صالحون في أنفسهم، مصلحون لغيرهم، وهم يتسابقون إلى فعل الصالحات، ونوافل العبادات، والأفعال الجميلة والأخلاق النبيلة من كلمة طيبة، وتواضع وجود، ونصر للمظلوم، وإعطاء للفقير، ورحمة لليتيم، وبر للوالدين، وصلة للرحم ونحوها، فهؤلاء حقيقة هم الفائزون برضوان الله، الناجون من غضب الله، المحظوظون بجوار الله الذين صلحت أحوالهم عند الله.

﴿ ١١٧ ﴾ **وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمَتَّقِينَ ﴿١١٧﴾**

وليطمئن هؤلاء البررة الأخيار بأن ما فعلوه من صلاح وما قدموه من بر، لن يضيع عند الله - سبحانه وتعالى - بل هو محسوب ومدخر لهم، يثابون عليه أعظم الثواب، ويجازون عليه أحسن الجزاء، والله - سبحانه وتعالى - عالم بمن اتقى وأراده بالعمل وصدق في نيته واجتنب الرياء والسمعة، فمدار الأعمال على تقواه تعالى، بحيث تفعل الطاعة على تقوى منه، وتترك المعصية على تقوى منه.

﴿ ١١٨ ﴾ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٨﴾**

كل كافر لن ينفعه ما جمع من مال، ولا ما ربى من أبناء، فمهما افتخر بأنه أكثر الناس أموالاً وأولاداً، وأن هذا يصرف عنه العذاب، ويناله الثواب، فإن هذا من الخطأ العظيم، بل لا ينفع الإنسان إلا إيمانه وعمله الصالح، وهؤلاء الذين ادعوا هذه الدعوى هم من أهل الكتاب والمشركين، فكذبهم - سبحانه وتعالى - وأخبر أن هذه الأمور لا تنفعهم شيئاً عند الله، فلا ينالون بها فوزاً ولا ينجون بها من خزي؛ لأنهم خالدون مخلدون في النار لما اقترفوه من غضب الجبار.

﴿ ١١٩ ﴾ **مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٩﴾**

مثل ما أعطوا من الأموال وما صرفوه في سبيل الظهور والشهرة، وحب التصدر عند الناس؛ كمثل قوم زرعوا زرعاً وأجهدوا أنفسهم في استصلاحه، فلما نما الزرع وأقبل الثمر، أرسل الله عليه ريحاً عاصفةً قويةً فيها برد مهلك فأحرقت هذه الزروع وأبادت هذه الثمار، فهؤلاء جمعوا أعمالاً كثيرة، وأنفقوا أموالاً وفيرة، ولكن أرادوا غير الله، وأشركوا مع الله - سبحانه وتعالى - غيره، فمحق الله أعمالهم، وأبطل سعيهم، وما ظلمهم الله ولكن هم استوجبوا هذا الجزاء بكفرهم بربهم وشركهم بمولاهم وإرادة غيره بالعمل ومحاربة أوليائه، فإن الله - سبحانه وتعالى - لا يظلم أحداً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

﴿ ١٢٠ ﴾ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٢٠﴾**

أيها المؤمنون لا تقربوا المنافقين منكم، وتجعلوا لهم من المكانة والموالة والمودة والقرب مثل اتخاذ الثوب قرباً والتصاقاً، فهؤلاء المنافقون لا يقصرون في الإفساد والإيذاء، والسعي بالفتننة وتفريق الصف، بل هم مجتهدون في الفساد والإفساد، وهم يطمنون ما يشق عليكم، ويودون هزيمتكم وإيذاءكم، وقد حصلت منهم أفعالٌ قبيحة بدت في كلماتهم من التشفي والاستهزاء والهمز واللمز والسخرية، فكيف تثقون بهم بعدما ظهرت لكم هذه العلامات، وقامت

لكم هذه الدلائل من فلتات ألسنتهم، فكيف بما في صدورهم من الحقد عليكم والحسد لكم، والبغضاء لدينكم، ونية الشر لجماعتكم، ونحن بيننا لكم هذه الأشياء لتجتنبوها وتكونوا على حذر من مكر هؤلاء المنافقين، فهم أخطر من الكفار الظاهرين، وإذا كانت لكم عقول تفكر، وأفئدة تتبصر، فاحذروا هذا الداء الدوي من موالاة المنافق، والرضا به والركون إليه والثقة به واتخاذهم في المناصب وفي الاستشارات، وإظهار الحب لهم والثقة بهم، وهذا أمر محرم عليكم؛ لأنهم أعداء الله ولا يجوز موالاة أعدائه.

﴿١١٩﴾ هَاتِمَةُ أَوْلَادٍ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْبُزُورَ ﴿١١٩﴾

ما لكم أيها المؤمنون تخطئون في محبة هؤلاء وهم أعداء الله وهم لا يحبونكم ويكفرون بشرع الله، آمنتم أنتم برسولهم وبكتابهم وهم كفروا برسولكم وبكتابكم، إذا حضروا عندهم أظهروا لكم الإيمان والتصديق لكم والمتابعة، وإذا انفرد بعضهم ببعض أظهروا الغضب الشديد، والمكر الأكيد، والحقد عليكم وعلى دينكم، وتمنوا زوال النعمة التي نزلت عليكم، وخططوا لأذاكم، والله - سبحانه وتعالى - يعلم ما تُكنُّ صدورهم وما تخفي ضمائرهم وما تستتر عليه سرائرهم، وسوف يجازيهم بصنيعهم، وهذا فيه أن على المؤمن أن لا يوالي الكافر مهما أظهر له من المودة إلا ولاءً ظاهراً، فلا يتخذه خليلاً ولا صديقاً، ولا يثق بمودته ولا بصداقته، ولا يوالي إلا أولياء الله - سبحانه وتعالى - الذين صدقوا برسوله واتبعوا كتابه.

﴿١٢٠﴾ إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا تَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِمَنْ يَعْمَلُونَ مِحْطاً ﴿١٢٠﴾

وهؤلاء الأعداء إذا نزل بكم خير من نصر وعزة وتوفيق ورخاء وغيث وخصب ورزق واسع وصحة في الأجسام، ساءهم ذلك وأقلقهم وغازظهم؛ لأنهم أعداء حسدة، وإذا حلت بكم نكبة أو وقعت بكم ملامة أو أصابكم مرض أو فقر أو هزيمة فرحوا بذلك وسرَّهم ما ساءكم، وأفرحهم ما أزعجكم، وأنتم إذا صبرتم على عداوتهم وكففتهم عن صداقتهم فلن يضركم كيدهم ولا يصل إليكم من مكرهم شيء، فالله يبطل كيدهم محبط عملهم متبرِّ سعيهم، وهو - سبحانه وتعالى - غالب من غالبه، وهو عالم - سبحانه وتعالى - بكل ما أسروا وكل ما أخفوا من المكاييد، وكل ما دبوا من المؤامرات، وسوف يكشف أسرارهم ويهتك أستارهم.

﴿١٢١﴾ وَإِذْ عَدَّتْ مِنْ أهلكِ بُيُوتُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْلَعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

واذكر - يا محمد - تلك الغزوة العظيمة غزوة أحد يوم خرجت من منزلك تصفُّ المؤمنين للقتال في سبيل الله، وتنزلهم في مواقف القتال وتهيئهم لمبارزة الكفار، والله سميع لما تقولون، عليم بما تفعلون، لا تخفى عليه خافية، يعرف الصادق من الكاذب، والمؤمن من الكافر، والمخلص من المنافق.

﴿١٢٢﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

واذكروا حين كادت بنو سلمة وبنو حارثة - وهما بطنان من الأنصار - أن ينخدلا مع عبد الله بن أبي بن سلول، ويتركا القتال مع الرسول - عليه الصلاة والسلام - ولكن الله - سبحانه وتعالى - تولى أمرهم، وجمع شملهم وعصمهم وثبت أقدامهم، وردهم إلى الخير، وعلى الله - سبحانه وتعالى - فليعتمد في الشدائد من أراد النصر، وباللله فليثق من أراد الخير، فإنه - سبحانه وتعالى - نعم المولى ونعم النصير والمعين والظهير - جل في علاه - والذي حصل لبني سلمة وبنو حارثة حديث نفس وخطرات من الشيطان بالانهزام والفرار من أرض المعركة، ولكن الله أيدهم بكلمة ثابتة فثبتوا.

﴿ ١٢٦ ﴾ وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ ١٢٦ ﴾

وتذكروا - أيها المؤمنون - غزوة بدر وكيف نصركم الله - سبحانه وتعالى - في تلك الغزوة وأنتم في قلة من العدد، وفي فقر من ذات اليد، وفي ضعف من الحال، وكان الكفار قرابة الألف وأنتم ثلاث مئة وخمسة عشر مقاتلاً، فأنزل الله الملائكة معكم وأيدكم بنصره، وأنزل عليكم السكينة، وثبت أقدامكم ونصركم على أعدائكم وجعل الفوز والفلاح معكم، فاتقوا الله - سبحانه وتعالى - باتباع رسوله والاهتداء بكتابه واجتماع الشمل على طاعته، لعلكم بتقواكم تؤدون شكر نعمته عليكم بالنصر والتأييد.

﴿ ١٢٧ ﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَوِّجِينَ ﴿ ١٢٧ ﴾

واذكروا إذ يقول الرسول ﷺ لأصحابه في بدر: أما يكفيكم أن يؤيدكم الله - سبحانه وتعالى - بثلاثة آلاف من الملائكة ينزلهم من السماء ينصرونكم ويعينونكم على أعدائه، وهذا مدد عظيم من الملك الكريم.

﴿ ١٢٨ ﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿ ١٢٨ ﴾

نعم، هذا العدد - وهو ثلاثة آلاف من الملائكة - يكفيكم إذا اتقيتم الله - سبحانه وتعالى - وثبتم في القتال وصبرتم على مشقة الجهاد، فإذا جاءكم أعداؤكم في هذه الساعة وقد ظهر منكم الصبر والثبات، فإن الله - سبحانه وتعالى - سوف يمدكم بخمسة آلاف من الملائكة؛ معلمين على صنوف القتال، مدربين على مبارزة الرجال، لهم علامات يعرفون بها، ولهم شارات يتميزون بها ومن شكر الله زاده الله.

﴿ ١٢٩ ﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ ۖ وَوَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿ ١٢٩ ﴾

وما جعل الله - سبحانه وتعالى - إنزال الملائكة من السماء عليكم إلا بشارة لكم بالنصر والعز، وتثبيتاً لكم على الإيمان، وإعانة لكم على أعدائه، ولتثقوا في موعود الله - جل في علاه - وليس النصر موقوفاً عليكم ولا على الملائكة، فإن الناصر هو الله وحده سبحانه وتعالى؛ لأنه عزيز حكيم، عز فقهر، من عزته أنه قهر غيره، ومن حكمته أنه أحسن فيما قضى وقدر، فالعزة والقوة والهيبة والسلطان والحكمة سداد الأمر وحسن الاختيار وجميل التدبير.

﴿ ١٣٠ ﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا عَلَافِينَ ﴿ ١٣٠ ﴾

ليهلك من الذين كفروا طائفة، أو يأسر منهم جماعة، أو يزلزل عموداً من أعمدة الكفر، وهذا الذي تحقق، فقد أهلك الله - عز وجل - من كفار قريش في بدر بعضهم، وأسر المسلمون جماعة منهم، وأما الباقون فعادوا بالخيبة والفضل، فأصابهم الخزي والعار والوهن في الدنيا وفي الآخرة، والعذاب الشديد، وصارت العزة والنصر والدولة والتمكين لمحمد ﷺ وأصحابه، وهذا من لطف الله بالمؤمنين وحسن تدبيره وبالغ حكمته.

﴿ ١٣١ ﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿ ١٣١ ﴾

ولما شج وجهه ﷺ وكسرت ربايعيته قام يدعو على كفار قريش، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية، والمعنى ليس لك - يا محمد - من أمر هؤلاء وما يحل بهم شيء، فالأمر كله لله - عز وجل - فلا تستطيع هدايتهم ولا تعذيبهم ولا الانتصار عليهم، ولا تستطيع إقناعهم بدينك، وإنما مردهم إلى الله - عز وجل - إن شاء وفقهم للإيمان، وإن شاء أبقاهم على عبادة الأوثان، والمرد إليه - سبحانه وتعالى - يعذب من يشاء ويتوب على من شاء، وله - سبحانه وتعالى - الحكمة المطلقة، فإن تاب عليهم بإسلامهم ففضل منه، وإن عذبهم بكفرهم فإنهم يستأهلون ذلك ويستحقونه، والله ليس بظلام للعبيد.

﴿ ١٣٦ ﴾ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ**

كل ما في السموات وما في الأرض هو لله ملكاً وخلقاً وعبيداً فهو - سبحانه وتعالى - يفعل ما يريد ويحكم ما يشاء، لا معقب لأمره ولا راد لقضائه، وهو - سبحانه وتعالى - له الحكمة المطلقة والقدرة النافذة، يغفر لمن يشاء ويرحمه، ويعذب من يشاء ويعاقبه، والله - سبحانه وتعالى - غفور واسع الغفران لمن أقبل إليه وأناب، رحيم يتجاوز عن كبائر الذنوب لمن عاد إليه وتاب.

﴿ ١٣٧ ﴾ **يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**

أيها المؤمنون يا من صدقتم بكتاب الله واتبعتم رسول الله احذروا أكل الربا، فإنه من أعظم المحرمات، ومن أكبر المعاصي والمخالفات، فلا تتساهلوا به حتى يصل بكم الحال إلى أن تأكلوا المال الكثير متساهلين به وتظنوا أنه قليل؛ لأن الطمع والجشع يتدرج بأكل الربا إلى أن يستولي على أموال الناس، وعلى مقدراتهم وهو لا يشعر، وإنما أتى بهذه الآية؛ لأنه لا يصلح جهاد ولا طاعة إلا بأكل الحلال، وأكل الربا لا تقبل له دعوة، وترد عليه مسألته كما في الحديث: «فأنتى يستجاب له» ثم قال لهم: وعليكم بتقوى الله - عز وجل - بفعل ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه، مثل: الربا ونحوه، فإن في ذلك الفلاح والصلاح والنجاح والفوز الأكبر، والنعيم الأعظم؛ ففي طاعة الله - عز وجل - سعادة الدنيا ونعيم الآخرة. [وهذه الآية كانت قبل تحريم الربا في البقرة].

﴿ ١٣٨ ﴾ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**

واحدروا - أيها المؤمنون - الأعمال التي توصلكم إلى عذاب النار، مثل: أكل الربا الذي لا يأكله إلا كل فاجر كفّار، ومثل: التهاون بأموال الناس فإن النار هيأها الله - عز وجل - لمن كفر به وصدّ عن سبيله، وقد توصل الذنوب الكبيرة إذا توالى بالعبد إلى الكفر، وقد يُعذّب صاحب الكبائر بالنار التي أعدها الله للكافرين ولا يخلد في النار.

﴿ ١٣٩ ﴾ **وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**

اطيعوا الله ورسوله فيما أمرتم به وما نهيتم عنه لتتوصلوا إلى رحمة الله ومرضاته، وبالسعادة من غشيته رحمة الله، وبالفوزه وفلاحه.

﴿ ١٤٠ ﴾ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**

بادروا - أيها المؤمنون - وعجلوا - أيها المتقون - إلى ما يوجب لكم مغفرة ربكم، وما تستحقون به دخول جنة مولاكم جنة عرضها عرض السموات والأرض، والفوز برضوانه ونيل النعيم الذي أعدّه لأوليائه، وذلك بفعل الطاعات وترك المحرمات، فإن من عمل صالحاً وأكل حلالاً وقال خيراً، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وسابق في الخيرات استحق أن يتجاوز الله - عز وجل - عن سيئاته، وأن يعظم حسناته، ويرفع درجاته في جناته.

﴿ ١٤١ ﴾ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**

من صفات هؤلاء الأولياء أنهم يتصدقون في حال الرخاء والشدة والعسر واليسر، والفقر والغنى، فهم لحبهم لما يرضي ربهم عنهم لا يمنعهم الفقر ولا العسر ولا الشدة عن الإنفاق وبذل المال، ولا يحملهم الكبر والطمع والجشع في حال اليسر والرخاء والغنى على إمساك المال، وإنما يغلبون أنفسهم وينفقون في سبيل الله، ومن صفاتهم أنهم يغلبون أنفسهم بالحلم وقت الغضب والغيظ، فلا ينفذون مرادات نفوسهم من التشفي والانتقام، بل ينتصرون عليها ويملكون زمامها، ومن صفاتهم أنهم يسامحون من ظلمهم ويعفون عن أساء إليهم، ويتجاوزون عنه، فهم يقدمون

العفو طمعاً في عفو الرحمن، ويتركون معاقبة الناس؛ خوفاً من عقاب الديان، وهذا من الإحسان، والله يحب المحسن، وهو الذي يفعل الجميل ويزيد، وهو الذي يتجاوز عمن أساء إليه بل يحسن إلى من أخطأ معه، بل يزيد في إحسانه من إكرام الناس وإيصال النفع إليهم وفي الأثر: «إن الله أمرني أن أصل من قطعني وأن أعطي من حرمني وأن أعفو عمن ظلمني».

﴿١٦٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾

ومن صفات هؤلاء المتقين أنهم إذا ارتكبوا كبيرةً أو اقترفوا جريمة وظلموا أنفسهم باعتدائهم على غيرهم عادوا إلى ربهم - سبحانه - فذكروا عقابه وما أعد لمن عصاه فاستغفروا الله من الخطيئة، وسألوه المغفرة، وندموا على ما فعلوا، وتأسفوا عما اقترفوا، وعلموا أنه لا يغفر الذنب ولا يتجاوز عن الخطأ ولا يعفو عن السيئة إلا الله الواحد الأحد، ولم يداوموا على هذه المعاصي، ويلجؤا في الخطأ، ويستمروا على الذنب، وينهمكوا في الإجرام، بل أصبح عندهم من القلق والاضطراب والأسف والندم على ما فعلوا ما يوجب معرفتهم بقبح الذنب، ويعلمهم أنه يجب عليهم التوبة، ويعلمهم أن الله يغفر الذنوب جميعاً، فيحملهم ذلك على التوبة والاستغفار والمبادرة إلى طلب العفو من العزيز الغفار.

﴿١٦٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٦٨﴾

أولئك الأختيار المتقون ثوابهم عند ربهم أن يغفر خطيئاتهم، ويتجاوز عن سيئاتهم ويقبل توبتهم، وزيادةً على ذلك يثيبهم بالخلود في جنات النعيم، والفوز العظيم والنعيم المقيم، وهذه الجنات التي أعدها الله لهم هي بساتين غناء، وحدائق فيحاء، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومن جمالها أن الأنهار تجري من تحتها، وفيها من الثمار والأشجار والطعوم والألوان ما الله به عليم، ونعم والله هذه الجنة ثواباً لمن عمل، وأجرًا لمن سعى، وجائزة لمن أحسن.

﴿١٦٩﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٧٠﴾

قد سبق قبلكم - أيها الكفار - حوادث وعقوبات ووقائع أنزلها - عز وجل - فيمن كفر به، ومن كذب برسله فسيروا في الأرض وانظروا إلى آثار منازلهم، وإلى بقايا بيوتهم وقراهم كيف عصف بهم الدمار، وأحل بهم الخزي والعار، لعلكم تتعظون بما ترون، وتعتبرون بما تشاهدون، فإن في مناظر بقاياهم عبرة لمن اعتبر، وفي النظر إلى آثارهم عظة لمن اتعظ وادكر.

﴿١٧١﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٢﴾

هذا الذي وقع في الأمم السابقة، وحل بهم من العقوبات بيان للمؤمنين المستفيدين من هذه العظات، وفيه هدى لمن اتقى، يدلُّه على الصواب، ويجنبه الخطأ، ويجعله على الدوام منتبهاً لنفسه ومصيره، وفيه - أيضاً - موعظة وزجر لمن له ضمير حي، وقلب حي، ولن له عقل واع، فالسعيد من وعظ بغيره، ومصائب قوم عند قوم فوائد.

﴿١٧٣﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾

أيها المؤمنون، لا يصبكم الخور والضعف في نفوسكم، والوهن في هممكم ولا تحزنوا على ما أصابكم في سبيل الله من أذى وتشريد وقتل أو هزيمة فالعاقبة لكم، وأنتم الأعلون المنتصرون الفائزون، فالله مولاكم والقرآن كتابكم، ومحمد رسولكم، والجنة مثواكم، وأهل الكفر لا مولى لهم، والعيُّ منهجهم، والضلال طريقهم، والنار منقلبهم، فأنتم

- أيها المؤمنون - سعداء في هذه الدنيا؛ لأنكم تحملون الهداية في قلوبكم، والشهادة لقتلاككم، والثواب الجزيل لموتاكم، لا تساوي بينكم وبين الكفار، فأنتم أبرار، أرضيتم الواحد القهار، وهم أشرار فجار، لهم سوء الدار، وعذاب العزيز الجبار.

﴿ ١٤٠ ﴾ **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**

أيها المؤمنون، إن كان أصابكم أذى في سبيل الله، أو قتل أو جراح، فقد أصاب الكفار مثلما أصابكم، وهذه سنة الله - عز وجل - فالأيام دول، مرة نصر، ومرة هزيمة، ومرة سرور، ومرة حزن، فالله - عز وجل - يقلب الأيام والليالي بين الأمم، فيوماً تجد الأمة ظافرة قاهرة منتصرة، ويوماً تراها مغلوبةً مهزومة ذليلة، ولكن لله - سبحانه وتعالى - في ذلك حكم، فمنها أن الله - سبحانه وتعالى - يمتحن القلوب بهذه المصائب والأزمات والحروب؛ ليطيّر المؤمن من الكافر، والصادق من الكاذب، ومنها أن الله - سبحانه وتعالى - يكرم الشهداء من الأمة المحمدية فيتخذهم أولياء له في جنات النعيم، ومنها أن يظهر عمله - سبحانه وتعالى - في من نصره ومن كفر به ومن صدقه ومن كذبه، وإلا فالله - سبحانه وتعالى - عالم بالأشياء قبل حدوثها، ولكن يظهر علمه فيمن يقع عليه القضاء والقدر من العباد، فمن انحرف عن نصرة الله - عز وجل -، وكذب برسله فهو ظالم، والله لا يحب الظالم؛ لأن الله حرم الظلم على نفسه، وحرمه على غيره، وذم الظالمين وتوعدهم بالجزاء الأليم.

﴿ ١٤١ ﴾ **وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ**

والله - سبحانه وتعالى - يريد من هذه الأزمات والكرب أن يطهر المؤمنين من الذنوب، وأن يصفّيهم من العيوب، وأن ينقيهم من الخطايا بالشدّة التي تحصل لهم من هموم وغموم، وأحزان وقتل وأسرى وحبس وتشريد وأذى، ويريد - سبحانه وتعالى - أن يسحق أعداء الفجار، ويمحق الكفار، فيقتلهم بأيدي أوليائه، وينكل بهم بأنصاره وحزبه، حتى يستقر الحق على أساس متين، ويبقى مهاب الجانب قوي الركن، ويظهر الصادق من الكاذب، والمؤمن من الكافر.

﴿ ١٤٢ ﴾ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّٰلِّينَ**

ثم أنكروا الله - سبحانه وتعالى - على من ظن أنه سوف يدخل الجنة بلا جهاد ولا جلال، ولا تضحية ولا ابتلاء ولا شدة، فأخبر الله - سبحانه وتعالى - أنه لا بد من التمحيص وظهور علمه - سبحانه وتعالى - فيمن صدق في الجاهدة في سبيله، ومن أنفق ماله وقدم نفسه وسخا بروحه؛ لرفعة كلمة ربه ومولاه، ويظهر علمه - سبحانه وتعالى - وإلا فإنه عالم بكل شيء قبل أن تقع الحوادث، وبعد وقوعها يظهر علمه فيمن صبر واحتسب، وقام بنصرة الحق أشرف قيام، وصمد في وجه الباطل أجلّ صمود، فهؤلاء يستحقون الجنة برحمة الله، ويستأهلون الفوز بفضله، جزاء بما كانوا يعملون.

﴿ ١٤٣ ﴾ **وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُوهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ**

ولقد كنتم قبل المعركة تريدون مواجهة الكفار لتتالوا الشهادة في سبيل الله من قبل أن تجدوا حرّ الموت وشدته، فالآن قد شاهدتموه بأم أعينكم، ورأيتم القتل في إخوانكم وأشرفتم على الهلاك، فكيف تمنونه من قبل ثم كرهتموه لما حصل، وشقّ عليكم لما نزل؟!.

﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٣﴾

ليس محمد ﷺ إلا رسول مثل المرسلين قبله، ليس بإله يُعبد ولا برب يوحد، يموت كما يموت الناس، أفترونه لو مات أو استشهد رجعتكم عن الإسلام، وكفرتم بالله الملك العلام، إنه من يرتد منكم عن دينه فإنه لا يضر إلا نفسه؛ لأن مصيره العذاب، وأليم العقاب، والله لا تتفعه طاعة المطيع، ولا تضره معصية العاصي، ولكن من أطاع ربه واتبع رسوله وجاهد في سبيل الله شكر الله له سعيه؛ لأنه يثيب من شكره، ويذكر من ذكره، ويعاقب من كفر به.

﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

لا يحصل لنفس أن تموت قبل أجلها أو تتأخر، فالأجل مسمى والعمر محدود، والزمن معدود، والذي يطلب بجهاده الشهرة والثناء والغبيمة فإنه سوف يجدها، ولكن ليس له في الآخرة حظ من الثواب ولا نصيب من الأجر، ومن يطلب بجهاده وجه الله وإعلاء كلمة الله فأجره موفور، وسعيه مشكور، وذنبه مغفور مع نعيم في الجنة وقرّة عين في الخلد، والله لا يخيب سعي من أحسن، ولا عمل من استقام.

﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلْنَا مَعَهُ رَبِّيؤُنَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٥﴾

وكم من نبي جاهد معه عدد كثير من أتباعه، وعلماء ربايون من أنصاره، فما أصابهم خور ولا ضعف ولا فشل، وما أصابتهم ذلة ولا خضوع للكفار، بل صمدوا وثبتوا وضحوا حتى انتصروا، والله يحب من صبر ويثيب من شكر؛ والصابر مرحوم، والجازع محروم.

﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٦﴾

كانوا إذا حضروا المعركة في سبيل الله سألوا الله أن يغفر ذنوبهم وما اقترفوه من خطايا وسيئات، وسألوه تثبيت الأقدام، والنصر على الكفار الطغام عبدة الأصنام. وفيه فضل الدعاء وقت القتال، وأن الذنوب سبب الفشل، وأنه ينبغي التوبة والاستغفار لمن أراد الانتصار على الكفار.

﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٧﴾

فأكرمهم الله بالنصر في الدنيا والنعيم في الآخرة، فعزَّ عاجل وفوز آجل، والله يحب من أحسن العمل، حيث جمع بين الإخلاص لربه والاتباع لرسوله، فأدى الطاعة على أكمل وجه، واجتنب المعصية خوفاً من ربه.

﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٨﴾

إنكم - أيها المؤمنون - لو اتبعتم هؤلاء الكفار لضللتهم؛ لأنهم يزيّنون لكم الباطل ويصدونكم عن الحق فهم لا يريدون خيراً، وإذا أطعتموهم في غيرهم رجعتهم وقد خسرتهم الدنيا والآخرة، فلا عز ولا نصر لكم في دنياكم ولا فوز ولا ثواب في آخراكم.

﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٤٩﴾

ليس الكفار هم أولياؤكم بل وليكم الله وحده - سبحانه وتعالى - وهو الذي يؤيدكم وينصركم ويثبت أقدامكم، فأطيعوه واتبعوا رسوله وآمنوا بوعده ووعيدته.

﴿ ١٥٦ ﴾ سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿

سننزل في قلوب الكفار الخوف والقلق والاضطراب؛ لأنهم أشركوا بربهم بلا دليل ولا برهان، ولم يأمرهم ربهم - سبحانه وتعالى - بما فعلوه، بل خالفوا أمره وفعلوا معاصيه وكفروا بكتابه، وكذبوا رسله، فلهم في الدنيا الخزي والعار، ولهم في الآخرة عذاب السعير ولبئس المصير.

﴿ ١٥٧ ﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا نُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْنَا عَنْهُمْ غِيظَنَا وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿

والله - سبحانه وتعالى - أنجز لكم ما وعد من النصر على الكفار، فصارت لكم الغلبة عليهم وكنتم تحصدونهم بالسيوف وتقتلونهم قتلاً، ولكنه لما أصاب بعضكم الوهن وحب الدنيا في أحد من إرادة الغنيمة، وقع الخلل والخور والجبين في الجيش، فوقع الهزيمة من بعد ما كاد النصر يحل، ومن بعد ما كانت الغلبة لكم عليهم، فأراد - سبحانه وتعالى - أن يمتحن إيمانكم، وأن يمحص قلوبكم، وأن تكون لكم هذه عبرة ودرساً، فصرفكم عن الكفار، ثم عاد سبحانه وتعالى عليكم بالعضو، فغض لمن فر منكم أو انهزم، والله فضله واسع، وأحق العباد بفضله هم عباده المؤمنون، فهو قريب منهم يغض رزلكم، ويسدد خلكم، ويعافي علكم.

﴿ ١٥٨ ﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُولُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي آخِرِنَاكُمْ فَأَثْبِتْكُمْ عَنْهَا بِغَيْرِ لِكْيَالٍ تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿

وتذكروا - أيها المؤمنون - إذ تصرون يوم أحد صاعدين في الجبل منهزمين تاركين رسول الله ﷺ خلفكم من شدة الخوف والهلع، والرسول - عليه الصلاة والسلام - يناديكم أن اثبتوا، إلي عباد الله، إلي عباد الله، أنا رسول الله، فجازاكم الله - سبحانه وتعالى - بفعلكم هذا غمماً وجدتموه في صدوركم بسبب غمكم للرسول ﷺ ومخالفتكم لأمره، ومن أجل ألا تأسفوا على ما فاتكم من الغنيمة، ولما أصابكم من الهزيمة، فالغم يكفر السيئات، والحزن يمحو الخطيئات، والله - سبحانه وتعالى - مطلع على أعمالكم، سامع لأصواتكم عالم بأحوالكم، يعلم الصادق من الكاذب، والمؤمن من الكافر.

﴿ ١٥٩ ﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانِ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَيْنَا مَضْجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿

ثم أرسل الله - سبحانه وتعالى - بعد هذا الغم الشديد سكينه وطمأنينة أنزلها على قلوبكم بعد الفرق والقلق، فكان الواحد من المسلمين ينعس والسيوف يسقط من يده، وأما المنافقون فقد طاشت عقولهم، ودهشت أذهانهم، وفارق النوم عيونهم لجزعهم وهلعهم وعدم سكينتهم، والمنافقون يقولون لم نستشر في مثل هذا الأمر من مقاتلة الكفار، ولو كان لنا رأي وقيل كلامنا ما كنا في هذا الموقف الضنك، ولا في هذا الخوف الشديد؛ ليشككوا في أمر الرسول - عليه الصلاة والسلام - وفي دين الله - عز وجل -، وهم مع ذلك يبطنون في أنفسهم الكفر والنفاق والكره لله ولرسوله وللمؤمنين، ويظهرون المسايرة والمجاملة في الظاهر، فرد الله - سبحانه وتعالى - عليهم بأنهم لو كانوا في

بيوتهم لأخرج الله - سبحانه وتعالى - من حلت منيته وانتهى عمره ونفذ القضاء فيه فقتل في أي مكان قدره - سبحانه وتعالى - فلا بيته يمنعه، ولا حصنه يحميه، وبمثل هذه الوقائع والحوادث يختبر الله سبحانه وتعالى إيمان المؤمن ونفاق المنافق، فينقي قلوب المؤمنين، ويظهرها من الأمراض، ومن الشكوك والريب، ويفضح الله - سبحانه وتعالى - المنافقين، ويظهر ما في قلوبهم من الكره للإسلام والبغض لأوليائه؛ لأنه سبحانه وتعالى يعلم ما في السرائر ويطلع على ما في الضمائر لا تخفى عليه خافية، ولا يستتر عليه سر.

﴿ ١١٥٥ ﴾ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**

إن الذين فرّوا منكم - أيها المؤمنون - يوم أحد إنما استدرجهم الشيطان، وألقى في قلوبهم الرعب بسبب مخالفتهم لأمر الرسول ﷺ، لكن الله لما علم بإيمانهم تجاوز عنهم وغفر ذنبهم وسامح خطأهم؛ لأنه غفور واسع المغفرة لمن استغفره، حلیم لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، بل يمهلهم حتى يتوبوا وهذا جزاء المؤمنين عند خطئهم، وأما المنافق فإنه يؤاخذ بالكبيرة والصغيرة لسوء معتقده.

﴿ ١١٥٦ ﴾ **يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**

أيها المؤمنون، احذروا أن تشابهوا من كفر من أهل النفاق والريب والذين يقولون لأصحابهم إذا خرجوا للتجارة أو سافروا للجهاد لو كانوا في بيوتهم معنا ما أدركهم الموت، وما قُتلوا؛ ليكون هذا الأمر غمًا في قلوبهم وحسرة في نفوسهم؛ لأنه غير صحيح، فالله قدر المقادير وقدر وقت موت الميت، وقتل المقتول لا يتقدم ساعة ولا يتأخر ساعة؛ لأنه - سبحانه - المحيي والمميت وحده، فكل شيء بقضاء وقدر وبأجل مسمى، ولكن أراد الله أن يدخل عليهم الكآبة والحسرة فجعلهم يترددون حتى في مسائل القضاء والقدر، والله - سبحانه وتعالى - عليم بما يكن هؤلاء، وما يخفون وما يسرون، فهو فاضح أمرهم كاشف نياتهم.

﴿ ١١٥٧ ﴾ **وَلَيْن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**

أيها المؤمنون، إن قُتِلْتُمْ في سبيل الله وإعلاء كلمته أو متم على فراشكم وأنتم تتوون نصره دين الله، فالله يغفر ذنوبكم ويجزل ثوابكم ويرفع درجاتكم، وهذا الفوز العظيم الذي ينتظركم والنعيم المقيم الذي هو أمامكم خير مما يجمع أعداء الله ومما يدخرون، فأنتم تكسبون الثناء الحسن والعز والنصر في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة.

﴿ ١١٥٨ ﴾ **وَلَيْن مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ**

وسواء مات الميت منكم على فراشه، أو قُتل في ساحة المعركة، فإن مصيره إلى الله - سبحانه وتعالى - فعليه أن يخلص نيته وأن يصدق في عمله وأن يراقب ما بينه وبين ربه، فما دام أن المرجع إليه فينبغي أن تقدم مرضاته، وأن يحذر غضبه، وأن يطاع رسوله ﷺ.

﴿ ١١٥٩ ﴾ **فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**

فبسبب الرحمة التي أودعها الله فيك، والعطف الذي جعله الله في قلبك كنت ليناً قريباً سهلاً مع المؤمنين، فغفوت عن خطئهم، وسترت خللهم، وتجاوزت عن زللهم، مع أنهم خالفوا أمرك ولم يصمدوا معك في القتال، وهذه رحمة من الله - سبحانه وتعالى - أعطاك إياها، ولو كنت - أيها النبي الكريم - فظاً في قولك، غليظ المعاملة لتفرق عنك

أصحابك، ولابتعدوا عن نصرتك، ولكنه لحسن خلقك جمع الله عليك القلوب، وألّف عليك الأرواح، فعليك بالعضو عن المؤمنين عمّا بدر منهم من تقصير في مخالفة أمرك، واطلب من ربك أن يغفر لهم الخطايا والذنوب، فإنه غفار رحيم، وشاور أصحابك في كل أمر ذي بال ليشعروا بقربك منهم؛ ولتكون قدوةً للأمة من بعدك، فإذا جدّ الجد واجتمع رأيك على أمر فاعزم وتوكل على ربك - سبحانه وتعالى - فعليه وحده الاعتماد، وعليه التكلان، فإنه يحب من يفوض الأمر إليه، ويعتمد عليه، ويثق بحسن اختياره جل في علاه.

﴿ ١٦١ ﴾ **إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴿

إذا كتب الله لكم النصر فلن يغلبكم كافر، ولن يهزمكم عدو، وإن كتب الله عليكم الهزيمة فلن ينصركم أحد من الناس، فعليك بطلب النصر من عنده - سبحانه وتعالى - وذلك بالتوكل عليه والثقة بوعده والرضا بدينه، حينها تُتصرون في دنياكم، وتُثابون في الآخرة؛ لأن الذي يملك أمر الدنيا وأمر الآخرة هو الله وحده سبحانه وتعالى.

﴿ ١٦٢ ﴾ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴿

ما ينبغي لنبي ولا يحق له أن يخفي شيئاً من الغنيمة أو يدخرها لنفسه كما قال بعض المنافقين لما فقدت في يوم بدر بعض الأموال، قالوا: لعل النبي ﷺ أخذها، وحاشاه بل هو البريء المطهر المعصوم ﷺ؛ لأن الغلول ينافي الأمانة وهو نوع من الخيانة، فكيف يخون النبي بمال وعرض زائل وقد استأمنه الله - سبحانه وتعالى - على الرسالة السماوية والدعوة الربانية، ثم أخبر - سبحانه وتعالى - أن من يخون فإنه يأتي يوم القيامة بجريته وجريمته على رؤوس الأشهاد فيفضحه ربه أمام العالمين، ثم يوفيه الله حسابه وعقابه يوم يوفى - سبحانه - كل نفس بما كسبت من صلاح أو فساد، وهو - سبحانه وتعالى - عادل لا يظلم، فلا يضيف لمسيء سيئات لم يعملها، ولا يبخص محسناً حسنات قد عملها، بل هناك القسطاس المستقيم والوزن القويم، وعدل الرحمن الرحيم.

﴿ ١٦٣ ﴾ **أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴿

هل من سلك ما يحبه الله - سبحانه وتعالى - من الإيمان به واتباع رسوله ﷺ والعمل بما يحبه واجتتاب ما يكرهه كمن عاد بالخسران واللعنة والغضب بسبب كفره ونفاقه وإلحاده في دنياه، فله في الدنيا الخزي والعار، وفي الآخرة مأواه النار وبئس المصير.

﴿ ١٦٤ ﴾ **هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴿

الناس متفاوتون عند الله - عز وجل - فالؤمنون درجات في جنات ونعيم مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي النار درجات للمنافقين والكفار والمعرضين عن دين الله - عز وجل - والله بصير بعمل كل عامل، فهو - سبحانه وتعالى - ينزل كل إنسان منزلته في الآخرة على حسب عمله، لا يزيد ولا ينقص، بعدلٍ وعلمٍ وحكمةٍ، فما على العبد إلا أن يعمل وأن يخلص عمله ولا يخشى أن يهضم يوم القيامة أو يظلم.

﴿ ١٦٥ ﴾ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**

وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿

لقد تفضل الله - سبحانه وتعالى - فأكرم المسلمين بمبعث محمد - عليه الصلاة والسلام - من جنسهم ومن قبائلهم؛ ليقنتوا به ويكون أسوة لهم يقرأ عليهم آيات الله - عز وجل - ويبين لهم الأحكام ويدلهم على أشرف الآداب، ويطهر قلوبهم من الرجس والدنس والشك والريبة، ويعلمهم القرآن والسنة بعدما كانوا يتخبطون في الظلمات، ويتعثرون في المخالفات، فلم يكن لهم نور يهدي، ولا إمام يقتدى به، ولا شرع يتحاكم إليه، بل كانوا في غيٍّ عظيم وفي ضلالٍ مبين.

﴿١٦٦﴾ **أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدِ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**

أحين وقعت عليكم هزيمة أحد قتلتم كيف نُهزِم وقد وُعدنا بالنصر ونحن على الحق؟ وكيف يغلبنا المشركون وهم على الباطل؟ فقل لهم يا محمد: سبب الهزيمة منكم أنتم؛ لأنكم عصيتم أمري ولم تعملوا بما وجهتكم به من المكث على جبل الرماة فَهَزِمْتُمْ، فاذكروا ولا تنسوا أنكم لما وجهتكم إليه طلبت منكم الصبر على جبل أحد، وأنتم قد هزمتهم الأعداء يوم بدر، فإن كان قُتل منكم سبعون في أحد، فقد قتلتم أنتم منهم في بدر سبعين، وأسرتهم سبعين، فأنتم نلتم منهم ضعف ما نالوه منكم، وكل شيء بقدر من الله - سبحانه وتعالى - لأنه قدير لا يعجزه شيء، حكيم لا عوج في أمره ولا اختلال بصير بعباده.

﴿١٦٧﴾ **وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ**

والذي أصابكم في أحد بسبب عصيانكم للرسول ﷺ هو بتقدير الله فكل شيء بقضاء وقدر، لحكمة أرادها - سبحانه وتعالى - حتى يظهر علمه في المؤمنين، ويتبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، فيظهر جهاد المجاهد، وزيف الزائغ، ويبين كل شيء على حقيقته، ويبطل الادعاء.

﴿١٦٧﴾ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا فَيَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**

ويظهر علمه - سبحانه وتعالى - في أهل النفاق المردة، ولتبين موقفهم وليتكشف أمرهم، الذين دعاهم رسول الهدى ﷺ للجهاد في سبيل الله في أحد أو الدفاع عن المدينة إن لم يقاوتوا ديناً، فليدافعوا من أجل دنياهم، فكذبوا على الله - عز وجل - وقالوا: لو أننا نتيقن أن هناك قتالاً لخرجنا مع الرسول ﷺ، ولكنهم كذبوا في ذلك فهم يعلمون أن هناك قتالاً، وهم لن يخرجوا لو تحقق لهم الأمر وهم أقرب للكفر، وليسوا أقرب للإيمان، فالإيمان منهم براء؛ لأن المؤمن لا يخالف أمر الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا يشق عصا المسلمين، ولا يتخلف عن الجهاد، ولا يوالي أعداء الله، وهؤلاء يتحدثون بألسنتهم كلاماً يخالف ما يعتقدونه في قلوبهم، فظاهرهم غير باطنهم وعلانيتهم غير سرهم، فهم يظهرون الملاينة والكلام الحسن، ويبطنون الخبث والمكر والكيد للإسلام والمسلمين، ولكن الله كاشف أمرهم، وفاضح سرائرهم وهاتك أسرارهم، لا تخفى عليه خافية، ولا تغيب عنه غائبة - جل في علاه -.

﴿١٦٨﴾ **الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ قَادِرُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**

هؤلاء المنافقون يوصون إخوانهم إما من المسلمين أو من المنافقين، ويقعدون عن القتال هم، ويقولون لمن خرج مجاهداً في سبيل الله بائعاً نفسه من الله مضحياً لنصرة دين الله، لو أطاعنا هذا الخارج إلى المعركة ما قُتل هناك، ولو أخذ برأينا ما ذهب نفسه هدرًا، فكانهم تحصنوا من الموت، وامتنعوا من الفناء، فردَّ الله - سبحانه وتعالى - على مقولتهم القبيحة فقال: فأنتم إن كنتم صادقين أنكم سَلِمْتُمْ من الموت في المعركة فادفعوا عن أنفسكم الموت وأنتم في بيوتكم، لكنكم لا تستطيعون، وسوف يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة، فهل تستطيعون دفع الموت عن أحد أو تأخير الموت عن أحد، وأنتم لا تستطيعون تأخير الموت عن أنفسكم؟

﴿١٦٩﴾ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**

ولا يظن أحدٌ من الناس أن من قُتل من أجل إعلاء كلمة الله - عز وجل - شهيداً في المعركة أنه ميت، بل له حياة مَخْصُصَةٌ في البرزخ يُنعم فيها بجوار رب العالمين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فهو مسرور فرح بمقعده يُرزق من ثمر الجنة، ومن أنواع أطعمتها ومن شرابها، فله إكرام مَخْصُوصٌ، وله إنعام من الله - عز وجل -؛ لأنه بذل نفسه في سبيل الله.

﴿ ١٧٠ ﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ ١٧٠ ﴾

هؤلاء الشهداء مسرورون بما وفقهم الله - سبحانه وتعالى - من بيع أنفسهم منه، ومن نيل الشهادة، ونيل الكرامة في جنات النعيم، وفي المقام العالي الآمن، وفي الفوز الأكبر، ويفرحون أيضاً لإخوانهم المؤمنين في الدنيا، ويتمنون أن ينالوا الشهادة مثل ما نالوها هم ليشاركوهم في الأجر وفي الثواب العظيم وفي المقام الكريم في جنات النعيم، وهؤلاء الشهداء لا خوف عليهم، فلا يخافون من أهوال القيامة، فقد آمن الله خوفهم، وربط على قلوبهم، وأنزل السكينة عليهم، وبشرهم بالأمن الدائم والسرور والحبور، ولا يحزنون من عواقب سيئات يخافون منها، أو من مغبة خطايا سلفت منهم، بل إن الله حطَّ خطاياهم، وغفر ذنوبهم، وعفا عنهم لتضحيتهم في سبيل الله.

﴿ ١٧١ ﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ١٧١ ﴾

هؤلاء الشهداء فرحون بما أعطاهم الله - سبحانه وتعالى - من هذا النعيم من قرة العين، وبهجة الروح، وحسن الحال، ونضرة الوجه، ورغد العيش، والإقامة الدائمة مع الشباب والصحة، ومع النظر إلى وجهه الكريم - جل في علاه - فالفضل فضله، والنعيم نعيمه - سبحانه وتعالى - لأن الله - سبحانه وتعالى - لا يحبط عمل عامل، ولا يضيع سعيه إذا صدق في إيمانه وأخلص في عمله، بل يدخر الله - سبحانه وتعالى - له أعظم مما فعل، ويجعل عاقبته حميدة في جواره.

﴿ ١٧٢ ﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ ١٧٢ ﴾

هؤلاء المؤمنون المجاهدون في سبيل الله الذين حضروا أحداً، لهم الأجر الدائم، فميتُّهم شهيد مقيم في جنات النعيم، وحيُّهم في عزة ينتظر النصر والثواب من الله، الذين استجابوا لله ولرسوله من بعدما أصابتهم الجراحات والبلاء والشدة، وبعدهما أصابتهم الهزيمة فدعاهم الرسول ﷺ لمناجزة المشركين لما بلغه أنهم اجتمعوا في حمراء الأسد، فهب المسلمون من ساعتهم، وكان الرجل يحمل أخاه الجريح، وذهبوا مع الرسول - عليه الصلاة والسلام - طائعين لأمره بعدما زلزلوا زلزالاً شديداً، فهؤلاء الذين أحسنوا الاستجابة وامتثال الأمر والمصارعة إلى إجابة داعي الجهاد، واتقوا الله - سبحانه وتعالى - في ترك مخالفة الرسول ﷺ والخروج على جماعة المؤمنين، هؤلاء لهم أجرٌ عظيم عند الله، فمن أجرهم تكفير سيئاتهم، ومضاعفة حسناتهم، ورفع درجاتهم مع الأمن في الجنة وحسن الإقامة ودوام النعيم الأبدى الأزلي في جوار أرحم الراحمين.

﴿ ١٧٣ ﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَعَلُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿ ١٧٣ ﴾

هؤلاء المؤمنون الصادقون المجاهدون قال لهم بعض المرجفين من الموالين لكفار قريش يخوفونهم: إن قريشاً قد جمعوا جموعهم، وقد أعدوا عدتهم، وأقبلوا في خيل ورجل يريدون غزوكم، فانتبهوا واحذروا؛ ليدخلوا الرعب في قلوب المؤمنين، فما كان من المؤمنين إلا أن زادهم الله - سبحانه وتعالى - على إيمانهم إيماناً، وعلى صدقهم تصديقاً، وعلى ثباتهم ثباتاً، فثبتوا أعظم ثبات، ووقفوا أحسن موقف، وذهبوا مع الرسول - عليه الصلاة والسلام - والتجؤوا إلى الله فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فالله يكفيننا من كل عدو، والله يمتعنا من كل غاز، والله ينصرنا من كل محارب، فنحن جنده، ونحن حزبه، ونحن معه، ولن نُغلب والله معنا، ولن نُهزم والله نصيرنا، ولن نخذل والله يؤيدنا.

﴿ ١٧٤ ﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ ١٧٤ ﴾

فبعد أن قالوا هذه الكلمة العظيمة واتكلوا على الله - سبحانه وتعالى - رجعوا بالخير والسلام، والأجر والكرامة، ولم يصيبهم أذى، ولم يتعرضوا لمكروه، ولم يلقوا عدواً؛ لأنهم أحسنوا الاستجابة لأمر الله، وكل مستجيب لله يحسن

الله عاقبته، ويجعل الدائرة على عدوه، وهؤلاء اتبعوا ما أمر الله به - سبحانه وتعالى - فإن رضا الله - عز وجل - في اتباع رسوله المرسل من عنده، والله - عز وجل - يمنُّ على من يهتدي بهداه، ومن يقتدي برسوله ﷺ بالنصر في الدنيا والفوز في الآخرة، فإن عاش عزيزاً، وإن مات مات مرحوماً مكرماً منعماً في جنات النعيم.

﴿ ١٧٥ ﴾ **﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾**

ويا أيها المؤمنون، إن هذه التخويفات، وهذا الإرجاف إنما هو من الشيطان، يخوفكم بأوليائه، ويرسل أتباعه وأعدائه يثبون الرعب في قلوب المؤمنين، فاصمدوا وثقوا بالله - عز وجل - وتوكلوا عليه وفوضوا الأمر إليه، ولا تخافوا أتباع الشيطان ولا أوليائه، وعليكم بخوف الواحد الأحد عزيز الجانب القوي الذي لا يُغالب، الذي بيده الضر والنفع، والموت والحياة، فإن المؤمن الصادق لا يخاف غير الله - عز وجل - فإن الناس لا ينفعون ولا يضررون، ولا يُحيون ولا يميتون، ولا يصلون ولا يقطعون، ولا يعطون ولا يمنعون إلا بإذن الله.

﴿ ١٧٦ ﴾ **﴿ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾**

ولا تحزن - أيها الرسول - من هؤلاء الذين يذهبون إلى الكفر ويتعمقون في الضلالة ويستمررون في الغواية، فإنهم لن يضرروا إلا أنفسهم، ولن يدخلوا الضرر على الله - سبحانه وتعالى - فالله غني عن العباد لا تنفعه طاعة الطائع، ولا تضره معصية العاصي، وإنما أراد الله - سبحانه وتعالى - يوم كتب عليهم الكفر ألا يدخر لهم ثواباً في الآخرة من النعيم ودخول الجنة، ولا يكتب لهم في الدنيا عزةً ولا نصراً، وإنما فعل بهم هذا الفعل ليمحقهم ويذلهم ويكرم المؤمنين على أيديهم، وادخر - أيضاً - لهم عذاباً مؤلماً فظيماً في الآخرة جزاء ما فعلوا من القبيح وما قدموا من الإساءة.

﴿ ١٧٧ ﴾ **﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**

هؤلاء المنافقون الذين باعوا الإيمان واستعاضوا به الكفر، ضررهم على أنفسهم، وكيدهم يعود عليهم، والله - عز وجل - لن يتضرر من إدمار مدبر، ولا من كفر كافر، ولا من نفاق منافق، فله العزة المطلقة، الغنى المطلق - جل في علاه - وما يضررون إلا أنفسهم وسوف يجزيهم على سوء هذا الصنيع وعلى قبح هذا التصرف منهم.

﴿ ١٧٨ ﴾ **﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ حَبْرٌ لَّا أَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾**

لا يظنُّ الكفار أننا إذا أمهلناهم في هذه الحياة ولم نُعاجل لهم العقوبة، ولم نقدم لهم النكال والعذاب أنه لخير لهم عندنا، أو أننا ادخرنا لهم الثواب، بل نريد من تأخير العقوبة بهم وإمهالهم أن يبقوا أطول مدة ليزدادوا من الخطايا، ويتكثروا من السيئات، ثم ينقلبوا إلينا في الآخرة لننزل بهم أشد أنواع العقوبات، وأفظع النكال في نار الجحيم.

﴿ ١٧٩ ﴾ **﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَإِن تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾**

ما كان الله ليترك المخلصين منكم - أيها المؤمنون - على ما أنتم عليه حتي يتميز المخلص الصادق من المنافق الكاذب، بما يوحيه إلى نبيه وإخباره بأحوالكم، والله - عز وجل - لا يطلع العباد على الأسرار التي لا يعلمها إلا هو، ولكنه - سبحانه وتعالى - يكتب الابتلاءات والمحن والشدائد، فيظهر هذا من هذا، فلولا البلاء لما عُرف الأتقياء من الأشقياء، ولولا البلاء لما أطلع المؤمنون على نفاق المنافقين، والله - سبحانه وتعالى - لا يكشف الغيب لكل أحد من عباده، ولكنه يختار - سبحانه - من عباده رسلاً يطلعهم على بعض الغيب، وعلى أسرار القضاء والقدر، فيخبرون أقوامهم بشيء من ذلك، فأنتم ليس عليكم مطالعة الغيب واكتشاف أسرار القدرة، لكن عليكم الإيمان بالله - عز وجل -

وجل - واتباع رسوله ﷺ والتسليم لأمره - سبحانه - والجهد في سبيله، وأنتم إذا فعلتم الواجب عليكم من الإيمان وفعل المأمور وترك المحظور والقيام لله - سبحانه وتعالى - حق القيام بما يحبه ويرضاه، فالله - سبحانه وتعالى - يدخر لكم الثواب الجزيل، والأجر العظيم في جواره ومع أوليائه.

﴿ ١٨١ ﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿﴾

ولا يظن الأغنياء البخلاء الذين يمسكون أيديهم ولا ينفقون في سبيل الله ولا في وجوه الخير أن إمساحهم للمال ينفعهم ويحصنهم من النكبات والنوازل، بل إن هذا الإمساك هو مقم عليهم وعذاب لهم في الآخرة، ومحق لبركة رزقهم وقسوة في قلوبهم، وسيجعل الله - سبحانه وتعالى - هذا المال طوقاً في عنق الواحد منهم من النكال والعذاب يلازمه في نار جهنم بسبب بخله وإمساكه وتقديره على نفسه، وإلا فإن الواحد الأحد له ما في السموات والأرض ليس بحاجة إلى إنفاق هؤلاء ولا إلى صدقتهم، فهو رب السموات والأرض ومالك ما فيهما، وهو يرث - سبحانه وتعالى - كل غني وفقير؛ لأنه يرث الأرض ومن عليها، فسوف يحاسبهم بهذه الأموال؛ لأنه - سبحانه وتعالى - خبير بما اقترفوه، عليم بما فعلوه، مطلع على ما صنعوه.

﴿ ١٨٢ ﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلَ دُونُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿﴾

سمع الله مقالة اليهود الشنيعة القبيحة - قاتلهم الله - التي قالوا فيها: إن الله فقير؛ ولذلك يطلب القرض منا، ويدعوننا للإنفاق، ولو كان غنياً لاستغنى عن أموالنا ولم يطلب منا أن نتصدق وأن ننفق، فأخبر الله - سبحانه وتعالى - أنه سوف يسجل عليهم هذه المقولة القبيحة، وهذه الكلمة النابية؛ ليحاسبهم بها، وأيضاً سوف يأخذهم بما فعلوه في سابق الزمان من قتلهم لأنبياء الله - عز وجل -، وسوف يوردهم النار ليحرق أجسامهم التي تربت على السحت، ويمزق أوصالهم التي نبتت بالمال الخبيث، فالله - سبحانه وتعالى - له ما في السموات والأرض، وهو الغني عن كل أحد، ولكنه أراد من العبد أن يتصدق على نفسه بشيء من المال يعطيه الفقير والمحتاج والمسكين.

﴿ ١٨٣ ﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَمِيدِ ﴿﴾

وهذا العذاب الذي يحل بهؤلاء الفجرة من اليهود وأمثالهم إنما هو بسوء صنيعهم، وبما فعلوه في الدنيا من التكذيب ونكث العهد ونقض الميثاق، وقتل الأنبياء والبخل بالمال، وأكل السحت وقول الكذب وتناول الرشوة والتزوير في الكتاب، والتحريف للكلام والتبديل للمعاني؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - لا يظلم أحداً، وليس في حاجة أن يوقع العقاب بمن لا يستأهله، فإن العباد عباده، فتقيهم مأجور، وشقيهم معذب مهان؛ حكمة من الباري - جل في علاه - ليوفي كل نفس بما كسبت.

﴿ ١٨٤ ﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَاللَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿﴾

هؤلاء اليهود افتروا على الله فرية وكذبوا على الله كذبة فقالوا: نحن لا نؤمن لأي رسول يُبعث إلا إذا أتانا بعلامة واضحة، وهذه العلامة أن يأتينا بكبش أو بناقة أو ببقرة فيقدمها فتنزل نار من السماء، فتحرق هذا القربان الذي قدمه، فرد الله عليهم - سبحانه وتعالى - قولهم بأن هذا كذب وافتراء، فلم يعهد الله لهم ذلك، ولم يوصهم به، ولم ينزل عليهم هذا في أي كتاب من كتبه، ثم قال لهم: قل لهم يا محمد: قد جاءكم من قبلي رسل بالبينات

الواضحات والآيات الباهرات والدلالات والمعجزات، وأتوكم - أيضاً - بما طلبتم من القرابين، وما ذكرتم من العلامات، ولكنكم كذبتموهم وقتلتموهم وكفرتهم بما أنزل عليهم، فلم فعلتم هذا الفعل بأنبيائكم وتطلبون من غير أنبيائكم هذه العلامات؟ إنكم إذاً مفترون على الله، كاذبون على دينه، خارجون عن طاعته.

﴿ ١٨٤ ﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿﴾

فإن ردوا رسالتك - يا محمد - وأعرضوا عن دينك وكذبوا بما بُعثت به، فقد سبقك رسل جاؤوا بالآيات البينات والمعجزات، وجاؤوا بالكتب السماوية، وأتوهم بالهدى الواضح والحكم النيرة والمواعظ المؤثرة، ولكنهم كذبوهم، وحاربوهم وقتلوهم، فأنت لست بدعاً في هذا الطريق، ولست أول من كُذِّب فاصبر واحتسب.

﴿ ١٨٥ ﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿﴾

كل نفس ستذوق كأس الموت لا محالة، ولا استثناء أحد من ذلك، وهذا فيه وعد للمؤمن بأن الله سوف يثيبه بعد وفاته، ووعيد للمكذب الفاجر بأن الله سوف يعاقبه بعد موته، وسوف توفون - أيها الناس - أجور أعمالكم بعد موتكم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فليست هذه الدنيا داراً لإثابة المطيع ومعاقبة العاصي، وإنما الدار هناك حيث يوفي الله - سبحانه وتعالى - كل نفس ما كسبت، وإلا فالدنيا دار قصيرة حقيرة، لا يمكن أن تكون زمناً لتتعم المؤمنين، ولا معاقبة الكافرين، والآخرة خير وأبقى، وفيها الحياة الحقيقية فمن بُعِد عن نار جهنم فقد حصل على الفوز العظيم والرضوان الكبير، وليس الفوز هو ما يدعيه بعض الجهلاء والسفهاء من أنه نيل المناصب العالية والأموال الكثيرة، وجمع الحطام الفاني والتباهي في هذه الدار بزينتها وزخرفها وكثرة الأولاد وسعة الدور والقصور والشهرة والجاه عند الناس، فليست هذه الدار إلا أحلام نائم، وخيال عابر زائل، وأمان مضمحلة، وثوان معدودة.

﴿ ١٨٦ ﴾ تَتَّبَلُّونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَتَسْمَعُونَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿﴾

لتمتحنن بالمصائب والحوادث والكوارث في أموالكم بالنفقة الواجبة، وبالجائحات السماوية وبالآفات الأرضية وبذهاب هذه الأموال بالسرققات والتلف والإحراق وغيره؛ ليعلم - سبحانه وتعالى - من يصبر ومن يحتسب، وسوف تَبْلُون في أنفسكم بالأذى الشديد والابتلاء الأكيد والمحن والزلازل والفتن؛ ليثبت من يثبت على حق، وينحرف من ينحرف عن بيعة، وليمحص الله الذين آمنوا ويظهر نفاق المنافق، وكفر الكافر حكمةً من الله وسنة ماضية، وسوف تسمعون من اليهود والنصارى، ومن وثنيي العرب من الاستهزاء والسخرية والتكذيب والعناد والمحاداة والصدود عن دينكم ومحاربتكم وتآليب الناس عليكم، والتحزب ضدكم، فإن صبرتم بالثبات على دينكم، وأداء ما أمركم الله به واجتتاب ما نهاكم عنه واتبقيتم بفعل المأمور واجتتاب المحظور، فهذا الذي يعينكم على إصلاح أنفسكم وعلى قوام أمركم وعلى الهمة التي يمنحها الله لكم بسبب هذا الصبر والتقوى والعزيمة الماضية التي تثمرها الطاعات، وتتجها العبادات، حينها تتصرون بإذن الله على كل عدو لكم.

﴿ ١٨٧ ﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِيسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿﴾

واذكروا يوم أخذ الله - سبحانه وتعالى - العهد الوثيق والميثاق الغليظ على اليهود والنصارى أن يبينوا للناس الكتب التي نزلت إليهم من التوراة والإنجيل، ويظهر للناس حكم الله - سبحانه وتعالى - في هذه الكتب من الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، والحلال والحرام، وأمرُوا أن يبينوا ما أوتوه تعليمًا وفتيا وقضاءً ولا يجحدوا شيئاً منها ولا يخفوا أمراً من أمورها، ولكنهم طرحوا ذلك ونبذوه خلف ظهورهم كالمعرض وكالمستهزئ بأمر الله - سبحانه وتعالى - واستعاضوا مكان هذا الكتاب المقدس ثمنًا بخساً رخيصاً حقيراً تافهاً من حطام الدنيا الزائل المضمحل، فبئس - والله - ما استعاضوا به بدل الرفعة بالعلم والإمامة في الدين والثناء عند الله وعند خلقه والمكانة الباقية والذكر الحسن والخلود في جنات النعيم.

﴿ ١٨٨ ﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿﴾

لا تعتقد أن من فرح بما فعل، وأحب أن يحمده الناس بما لم يفعل، فلا تعتقد أنه بعيد عن عذاب الله وأخذه، فإن بعضهم يفرح بما فعل ولو كان خطأ ولو كان معصيةً ويتبجح بذلك عند الناس مثلما فعل اليهود لما سألهم الرسول ﷺ عن شيء مما أنزل عليهم فكنتموه إياه، وأخبروه بغيره، وخرجوا من عنده وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أوتوا من كتمان ما سألهم عنه ﷺ فباؤوا بخسران من الله عظيم، وربما دخل في ذلك من فرح بمدح الناس وطلب المنزلة عندهم، وسعى إلى الجاه لديهم، وإلى المكانة في صدورهم، فيمحق الله سعيه ويبطل عمله؛ لأنه أراد غير الله سبحانه وتعالى.

﴿ ١٨٩ ﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿﴾

والأمر لله - سبحانه وتعالى - فكل ما في السموات والأرض ملك له، فهو يتصرف فيهما كيف يشاء خلقاً ورزقاً وتديراً وإحياء وإماتةً ومجازاةً ومحاسبةً، فالواجب أن يُقصد هو بالعمل وأن يُعبد وحده، وهو - سبحانه وتعالى - قادرٌ على كل شيء ولا يغلبه أمر ولا يعجزه شيء ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، فهذا الإله الذي هذا وصفه حقيق أن يُخاف، وأن يُتقى، وأن يُخشى، وأن يُعامل وحده، وأن يُخلص له السعي، ولا يُطلب الثناء ولا الحمد ولا الجزاء من غيره - جل في علاه -.

﴿ ١٩٠ ﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿﴾

في خلق السموات المرتفعة، وهذا السقف المحفوظ وما فيه من آيات بينات من شمس وقمر ونجوم وكواكب ومجرات مع ارتفاع هذا البناء وحسن نظامه وروعة بنائه، وكذلك الأرض وبسطها للناس وتسويتها، وإيجاد الجبال فيها والروابي والهضاب والبحار الواسعة والمحيطات الكبيرة وشق الأنهار، - وأيضاً - خلق الليل إذا أقبل بظلامه وغطى العالم بسرباله، وما فيه من آيات كالقمر والنجوم والكواكب، والنهار الذي تطلع فيه الشمس ببهائها وصفائها وإشراقها، كل هذا دلالات لمن أراد أن يتفكر في خلق الله، وأن ينظر في بديع صنع الله، ولكن لا يعتبر بذلك إلا من كان له عقل مفكر، وبصيرة حية، وضمير واعٍ، أما ميت القلب، خاوي الضمير، أعمى البصيرة فلا ينتفع من هذه الآيات لأنه لا لبَّ له ولا عقل ولا بصيرة، بل هو كالبهيمة التي لا يطعم منها التفكر ولا النظر في صنع الله وآياته.

﴿ ١٩١ ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحْنَاكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿﴾

وهؤلاء الذين يتفكرون في خلق الله هم الذين يذكرونه ويذاومون على ذكره بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، يذكرونه قياماً وهم يمشون في مصالحهم وفي أسواقهم وطرقاتهم، ويذكرونه إذا جلسوا في مجالسهم ومساجدهم ودروسهم ومناسباتهم الخاصة والعامة، ومن حبههم له - سبحانه - أنهم يذكرونه - أيضاً - وهم على جنوبهم مستقبلين النوم في وقت الراحة بعد التعب والإعياء، ومع ذلك لم يشغلهم شاغل عن ذكره ويديمون التدبر لآيات الله وخلقته في

السموات والأرض، فينظرون إلى كل آية بصفتها دليلاً من أدلة القدرة، وينظرون إلى كل مخلوق على أنه سطر في كتاب المعجزة يدل على الباري - سبحانه وتعالى - فهذه الكائنات إنما هي حروف ناطقة، وشهادات باقية على عظمة العظيم - جل في علاه - وعلى قدرته وحكمته وبديع صنعه، وهم يقولون إذا رأوا ذلك وجلين خائفين: يا ربنا نشهد أنك ما خلقت هذا عبثاً وباطلاً، بل أوجدت هذا الخلق لحكمة، وأبدعته بقدرة، وصورته لمقصد تقدست عن الأنداد، وتزهت عن الأضداد، فتباركت يا ربنا، فنسألك أن توفقنا للعمل الصالح الذي نفع فيه ما أمرتنا به، ونجتب ما نهيتنا عنه، ليوصلنا ذلك إلى أن تتجينا من عذاب النار، وتحميننا من غضبك ومن سوء عقابك.

﴿١٩٤﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٤﴾

وهم ينادون ربهم وخالقهم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم ويشتكون إليه أن من أدخله - سبحانه وتعالى - ناره فقد أخزاه وأذله وأبطل سعيه، فهم يستعيذون من ذلك ويرجونه - سبحانه وتعالى - وهو الغفار أن يجنبهم النار؛ لأن من دخل النار فقد استوجب غضب الجبار، فليس له ناصر ينصره فيدفع عنه العذاب، ولا ولي يجلب له النفع، وكل من أشرك بالله فهو ظالم، وكل ظالم مستحق للعقوبة بلا شك.

﴿١٩٥﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٥﴾

ويا ربنا وخالقنا ورازقنا إنا سمعنا محمد بن عبدالله ﷺ ينادي بالقرآن، ويدعو إلى دينك وإلى توحيدك وإلى طاعتك فاستجبنا له، وسمعنا كلامه واقتدينا بسنته واهتدينا بهداه واتبعنا طريقه؛ فنسألك يا ربنا أن تستر منا العيوب، وأن تغفر لنا الذنوب، وأن تكفر عنا السيئات والجرائم، وكل ما اقترفنا، ونسألك أن تختم لنا بخير، وأن تثبتنا على الحق حتى نتوفانا مع أوليائك وأتباع رسلك، وقد رضيت عنا وختمت لنا بخير وتوفيتنا على الملة.

﴿١٩٦﴾ رَبَّنَا وَعَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا نُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٦﴾

ونسألك يا ربنا أن تحقق لنا ما وعدتنا على السنة رسلك من الثواب الجزيل، وغفران الذنب والتجاوز عن الخطيئة وجوارك في جنات النعيم، والفوز بالنظر إلى وجهك الكريم، ولا تفضحنا يا ربنا ولا تذلنا ولا تهنا على رؤوس الأشهاد يوم تجمع الأولين والآخرين، إنك يا ربنا لا تخلف ما وعدت، فإنه لا أصدق منك قيلاً، ولا أحسن منك حديثاً، فنحن ننتظر ما وعدتنا به، ونستجز ما أخبرت به، وننتظر ما ذكرته في كتابك وعلى لسان رسولك ﷺ.

﴿١٩٧﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ بَعْضُكُم مِّنَ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقَاتَلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٧﴾

فقبل الله دعوتهم وحقق أمانيهم ولبي سؤالهم وأخبرهم - سبحانه وتعالى - أنه لن يترك سعي ساع ولا إثابة محسن، بل ادخر لهم الأجر العظيم، والنعيم المقيم سواء كانوا رجالاً أو نساءً، فإن النساء شقائق الرجال، والرجل والمرأة متعاونان على طاعة الله - عز وجل - من الإيمان والهجرة والدعوة والجهاد، فالرجال مثل النساء، والنساء مثل الرجال؛ لأنهما من آدم وحواء، وكلهم شرفوا بالرسالة، فالذين خرجوا من أوطانهم من الرجال والنساء، وفارقوا ديارهم وأهلهم وأموالهم ومراتع شبابهم، ومغاني صباهم، وطردوا من بيوتهم، وأودوا في سبيل الله، وفي أعراضهم، ونكّل بهم وعدّوا بسبب دينهم، ونالهم من الأسر والطرود والتشريد والقتل والجراحات وقتلوا أعداء الله - سبحانه وتعالى - وثبتوا في المعارك، وصمدوا في الأزمات وقتلوا في سبيل الله شهداء، فقد أقسم - سبحانه وتعالى - أن يكفر عنهم سيئاتهم، ويفغر ذلّاتهم، ويمحو خطيئاتهم، ثم يدخلهم جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فينعّمهم هناك، ويشيّبهم في داره التي بناها بيده، وهذا الأمر هو جائزة لهم على حسن عملهم وعلى كريم سعيهم، والله - سبحانه وتعالى - يثيب أحسن الثواب، وأجلّ العطاء، وأعظم الهبات، فإن عطاءه لا يشبهه عطاء، وهبته لا تعادلها هبة.

﴿ لَا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴾

لا تتخضع بما يظهر لك من حال الكفار وتقلبهم في المناصب والأموال والنعم واللذات العاجلة والشهوات الزائلة، والأمانى الخداعة، فإن هذه دنيا لا يُغتر بها ولا يوثق بها، ومتاع الكافر منها كمتاع الدابة، وكحياة البهيمة، ليس إلا!!

﴿ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ ﴾

وهذا كله الذي يمر به الكفار إنما هو وقت قصير، ومتاع زائل حقير لا اعتداد به بالنسبة إلى ثواب الله - عز وجل - في جنات النعيم، فإن هؤلاء الكفار يقضون شهواتهم في عجل وهم مستعجلون، ويمرون بالحياة مروراً ثم يأوون في الآخرة إلى نار جهنم التي مهدوها بسوء أعمالهم، وفرشوها بقبائح صنيعهم؛ ليجدوا سعيهم القبيح، وعملهم الخبيث ينتظرهم هناك.

﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَّلَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبَرَارِ ﴾

أما الذين خافوا ربهم وراقبوه وعملوا بما أحبه وتركوا ما أسخطه، فهؤلاء لهم نعيم مقيم، ولهم مقام طيب آمن في جوار ربهم من الحدايق الغناء والبساتين الفيحاء، والقصور والدور والأنهار، وهم مع ذلك مخلدون لا يخشون انتقالاً ولا يخافون هرمًا ولا ينتظرون سقمًا ولا يجدون نصبًا ولا تعبًا ولا مشقة، وهذا كله مهياً لهم وجائزة من الله - سبحانه وتعالى - وهبة من عنده - جل في علاه -؛ لأنه لما وفقهم إلى العمل ادخر لهم أحسن الجوائز، وأعظم الهبات، وما عنده - سبحانه وتعالى - خير مما يحصل للكفار في الدنيا من الربح في الأسفار، وجمع الدرهم والدينار، والتباهي بالقصور وسكنى الدور، ولكنه غرور.

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَائِدَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

من اليهود ومن النصراني فريق يؤمن بالله - عز وجل - وما أنزل على رسلهم وما أنزل على محمد ﷺ فيجمعون بين الإيمان بأنبيائهم وبالنبي العربي الأمي ﷺ وهم مع ذلك خائفون من ربهم، موقنون بموعوده عاملون بشرعه ولا يستبدلون دين الله - عز وجل - بعرض فان من الدنيا، ولا بثمن بخس من الحياة، لا من مناصبها ولا من أموالها، بل ثابتون على دينهم صادقون في طاعة ربهم متبعون لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لا يبغضهم الله - سبحانه وتعالى - أجرهم، ولا يضيع سعيهم، بل لهم أجر عظيم عند ربهم، فإله - سبحانه وتعالى - يرحمهم في ذلك اليوم العظيم، وهو سريع الحساب، وهو يحاسب العدد الكبير في الوقت القصير، وقد اطلع على أعمالهم وعلم نياتهم - جل في علاه - وهذا من العدل في الحكم، فالواجب على الإنسان أن يفرق في الحكم بين المهتدي والضال، والمصيب والمخطئ، فإن الله - عز وجل - استثنى بعض أهل الكتاب حكمةً منه وعدلاً لا إله إلا هو، لأنهم أصبحوا في عداد المسلمين.

﴿ يَتَائِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

أيها المؤمنون، عليكم بالصبر على الطاعات وأدائها على أكمل وجه، والصبر عن الشهوات والمعاصي والمخالفات باجتنابها والتوبة منها، والصبر على أقدار الله المؤلمة وعلى قضائه المرّ بحسن العبودية واحتساب الأجر وعدم السخط والجزع، وعليكم بمصابرة الأعداء ومنازلتهم ومغالبتهم ومراغمتهم في المعارك وساحات القتال، وفي ميادين النضال العلمي والردود عليهم ومجاهدتهم، وعليكم - أيضاً - بالمرابطة في ثغور الجهاد العملية، والمرابطة في أوقات العبادات، وملازمة المسجد للصلوات الخمس كما أخبر ﷺ أن ذلك رباط لما ذكر الوضوء وكثرة الخطى للمساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فمن صبر وصابر ورباط فاز بالأجر العظيم والنعيم المقيم، وأعطاه الله أشرف الجوائز وأعظم الهبات ووصل إلى أعلى المراتب، ونال أسنى المطالب، بسبب أنه تعبد لله - عز وجل - في المواطن كلها، في موقف الطاعة وفي موقف المعصية، وفي موقف الابتلاء، فكان من عباد الله المخلصين، ومن أوليائه الصادقين جعلنا الله منهم.